

أحوَالُ المُكاشَفةِ و مَقامَات المُشاهَدة
في سُلوك طريق المُجاهَدة

خديم الدعوة المحمدية :

عزيز الكبيطي الإدريسي الحسني



إلى مشايخنا الكرام الذين أفاضوا علينا هذا النبع

الصافي: سيدنا أحمد الدباغ حفظه الله

هذه بضاعتكم ردت إليكم.. فأسأل الله تعالى أن يقبل

منكم، ويجزيكم عنا خير الجزاء...

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما.

نفتتح بحول الله وقوته هذا الكتاب المبارك في تحديد قواعد الكشف والاتصال، حيث سنتحدث عنه ضمن إطار السلوك إلى حضرة الله عز وجل، أهو باب من أبواب الوصول؟ أم مرحلة تمر بالسالك فتطوره وتؤهله فيها لمقامات أخرى؟ أم هو مجرد منحة إلهية لا ترتبط بسلوك المريد إلى ربه عز وجل؟

وسينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء رئيسية:

الجزء الأول: تعريف الكشف وقواعده ومستوياته

الجزء الثاني: مقامات المشاهدة ومستوياتها

الجزء الثالث: أحول المريد السالك مع الكشف

وسيكون في كل جزء سبعة محاور، هذا والحمد لله رب العالمين.

الجزء الأول:

تعريف الكشف:

مستوياته، ومقاماته

وقواعده الكبرى

المحور الأول:

تعريف الكشف في مستوياته الأربعة:

1) تعريف الكشف:

الكشف هو اتصال معرفة أو اتصال شعور أو اتصال سمع أو اتصال مشاهدة بالعوالم الأخرى التي خلقها الله عز وجل، والتي تُجْمَع في تسميتها بعوالم الباطن، فكل ما غاب عن جسد الإنسان وحسه وطينيته، يسمى غيب باطني، وما يغيب عن الإنسان المنحصر في طينيته هو الشيء الكثير، فالإنسان لم يخلق ليحتجز في تلك الطينية وحسب، بل خُلِق ليحقق مقصوده ويصل إلى ربه، والله عز وجل ليس محصورا في زمان ولا مكان ولا وجهة ولا مشاهدة.

وإذا عرَّفنا الكشف بشكل عام، نقول إنه هو: "تقلبات المريد في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى".

2) مستوياته الكشف:

- **المستوى الأول: التخيل:**

ففي أول الطريق تكون مشاهدة المريد ببصره، بعد ذلك تكون مشاهدته بالمستوى الأول من الكشف وهو التخيل، لينتقل إلى المستوى الثاني.

- **المستوى الثاني: مشاهدة الأطياف النورانية مع الفهم والإدراك:**

حيث تكون مشاهدة المريد غير صافية تماما، ولكنها تكون متصلة بعالم الباطن فتأتيه بعض الفهومات وبعض العلوم، وأحيانا بعض المشاهدات كذلك، وغالبا ما

تكون هذه المشاهدة هي أطول ما يمر بالمريد في مستويات الكشف، إذ يبقى غير متيقن تيقنا كاملا يحتاج إلى الرجوع لشيخه في أدق التفصيلات، وقد تكون معرفته ومشاهدته على شكل أطياف نورانية فقط.

- والحكمة في هذا المستوى من الكشف أنه يُثَبِّت همة المريد ويجعله متيقنا أنه في طريق الله سبحانه، و يسلبه عن حسه وعن المظاهر فيوجهه إلى الباطن وإلى الله عز وجل ويعينه على التزكية وقهر النفس ومجاهدة الشهوات.

- **المستوى الثالث: المشاهدة ببصيرة القلب:**

حيث تكون مشاهدة صافية ببصيرة القلب، وغالبا لا تُخْطِئ إذا رمت في فراستها إلا إذا كان ذلك اختبارا للمريد نفسه، وهي ثمرة للتزكية والمجاهدة، وليس إعانة عليها كما كانت في المستوى السابق، لأنها تجعل المريد يتصل بحقيقته، ويفنى عن سره في سره، ويدرك بعض جواهر الوجود، وهذا ما يؤهله إلى المستوى الرابع.

- **المستوى الرابع: الفتح الكبير:**

وهو اللقاء المباشر بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبالأولياء الصالحين وبالملأ الأعلى.

وهذه المستويات كلها تشكل درجا من أجل بلوغ المريد إلى مقصوده.

- **هل يمكن أن يصل إلى الله عز وجل إذا اختلت أحد مستويات هذا الدَّرَج؟**

ذلك ما لم يحسم فيه أهل الله من قبل، وجعلوا أمر الكشف متصلا باتصال المريد مع ربه، ولكن إذا أردنا أن نضع قاعدة لهذا الأمر نقول: إنه من الضرورة المؤكدة سلوك كل هذه المستويات من أجل الوصول إلى الله عز وجل لأن كل مستوى من مستويات الكشف يخدم تربية المريد وتأهيله أكثر فأكثر إلا في حالة واحدة يستطيع المريد أن يسلك دون أن يحتاج إلى كل هذه المراحل.

وفي هذه الحالة الاستثنائية يجب أن يكون المريد مُسَلِّمًا لشيخه معتقدا فيه كل الاعتقاد، قائما على تزكية نفسه ومجاهدتها، فإذا رأى الشيخ أن المريد قد بلغ مبلغا يؤهله للاجتماع بالحضرة النبوية فإنه يجمعه بها مباشرة دون الحاجة إلى المستويات الأخرى من مستويات المشاهدة . وذلك لأن المريد تكون روحه غير مؤهلة للغوص في عالم الباطن إما بفعل نورانيتها القوية التي قد تُفْقَد إذا ارتوت الروح من عالم الباطن قبل ارتوائها من نور حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإما تمر كل هذه المستويات في ثانية واحدة حيث يبدأ المريد بالخيال ثم يأتيه بعض الفهم والإدراك ويشاهد بعض الأطياف النورانية ثم تنفتح بصيرة قلبه ويشاهد بعض الحقائق ليجد نفسه بشيخه في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حضرة الملأ الأعلى.

وفي ذلك حكم بليغة، منها: أن الله تعالى يترك المريد يذوق مرارة المجاهدة ليرفع شأنه، ويعلي مقامه فالكشف قد يزيل هذه المرارة، ويسهل عملية التزكية. ومنها أن يكون الله عز وجل قد حفظ عبده من أن يفتن بباطنه عن ربه، فقد يكون في نفس المريد نزعة من الكبر أو الرياء، أو حب الظهور أو غير ذلك مما يُضَلِّل المريد في هذا الدرج من الكشف فيحيد عن مقصوده. ويترك الطريق. وهناك حكم أخرى يعلمها الله عز و جل. والحمد لله رب العالمين.

المحور الثاني:

الكشف بين سلوك الطريق والفيض الإلهي:

الكثير من المريدين يخلطون أمر الكشف بالسير إلى الله تعالى، ويجعلونه جزء لا يتجزأ من الطريق، والبعض الآخر يفصلونه نهائيا عن المنهج السوي، ويجعلونه فيضا إلهيا مجردا على عبده، وذلك ما قد يحدث عثرة في طريق المريد فإذا ظن أن الكشف جزء من الطريق ولم يتحصل عليه فإنه يعتقد أنه غير سالك للطريق أصلا، وإذا ظن أنه فضل وفيض إلهي لا علاقة له بالسلوك فإنه قد يترك السلوك وينجر وراء هذا الفيض، وفي كلا الأمرين خطأ لأن الكشف ينبني على ثلاثة أسس:

أسس الكشف:

أولها: المعرفة:

حيث يتمكن المريد من إدراك بعض المعارف والحقائق و الفهومات سواء كانت سابقة في زمان مضى، أو كانت لاحقة في زمان سيأتي أو كانت معاصرة في هذا الزمن.

وثانيها: الإيقان

فلا بد للسالك أن يتحقق باليقين في سلوكه، واليقين حقيقة لا يكتمل إلا بالمشاهدة لما كان يؤمن به المريد إيقانا من قبل، فإذا نظر إلى الجنة وإلى النار وإلى الصراط وإلى عوالم الجن فإن يقينه يكتمل، ومن ثمة يكتمل إيمانه، والإيمان

مطلوب في الطريق، و لا يصل السالك إلى ربه حتى يجتاز مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، ولا يُجْتَاز مقام الإيمان إلا بالكشف.

وثالثها: القرب من الله عز وجل

وهنا قد لا يسمى الكشف كشفا، وإنما اتصالا وتجليا، إذ لا يمكن للمريد أن يتحقق بمقام الإحسان إن لم يتحقق بالقرب من الله عز وجل، والقرب في الطريق يأتي على شكلين:

- أن يستحضر المريد حضور ربه بقوته وهيبته، وأن ناظر إليه، سامع إياه، ولكن المريد هنا لم ينتقل بعد إلى مقام الإحسان، ولا ينتقل إليه إلا بالشكل الثاني من القرب.
- أن ينظر إلى تجليات ربه عيانا فيحصل له قرب، قد يصل إلى درجة الفناء عن المقرَّب في القريب المقرِّب. والكشف هنا يعينه على التخلص من روابط ذاته من طينية وحس وشهوانية وزمان ومكان، فإذا سَلَب الكشف المريد من هذه التعلقات فإنه يَزُجُّ به في بحر القرب من الله عز وجل. والكشف مخلوق في مظاهره الأولى إلا أنه قديم إذا كان مرتبطا بالنظر إلى الظاهر عن طريق تجلياته المخلوقة والقديمة.

وبهذا نخلص إلى أن القديم من الكشف هو الضروري في السلوك، وهو الذي يكمل المريد ويعينه للوصول إلى ربه، لأن الكشف القديم واسطة في النظر إلى الله عز وجل، أما الكشف المخلوق والمحدث فإنه مجرد فضل وفيض، قد لا نربطه أبدا بالسلوك إلى الله عز وجل، لأنه توجه إلى المخلوق، والمخلوق في حد

ذاته محدث، إذن فالكشف الذي ينظر به محدَث، ونظر الإنسان بالمُحْدَث إلى المُحْدَث يجعله مُحْدَثًا ومُنْقَطِعًا عن أصل البقاء، فهو غير واصل بعد إلى مقام الفناء، فإذا نظر المريد إلى القديم الذي هو الله عز وجل عن طريق القديم ـ وهو كشف النظر إليه ـ فإنه يَسْلُبُه من مُحْدَثِيَاتِه ويَزُجُّ به في بحر القدم، وذلك هو الوصول إذ لا قديم إلا الله، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور الثالث:

قواعـــد الكشـــف:

- ✓ **القاعدة الأولى: الكشف هو اتصال بمصدر النور والمشاهدة عن طريق الواسطة.**

وبهذا نؤكد أن الكشف لا يصدُق ولا يتحقق إلا إذا كان عن تلقين روحي من شيخ وَاصِلٍ مُوَصِّل يربط بصيرة المريد ببصيرته، ثم بالكشف القديم ليربطه بالنظر إلى الله عز وجل ، وفي هذا المقام يجب على المريد أن لا يكون طالبا للكشف بقدر ما هو طالب لله عز وجل، ومتعلم على يدي شيخه، لأن المريد في هذه المرحلة يكون جاهلا بحقيقة السير ومكانة الكشف فيه، وإذا طلب الكشف فإنه يجعله مقصودا، ثم يُؤَلِّه مقصوده فَيُعْرِض عن الله وبهذا فإنه لن يتحقق بالكشف لا المحدث ولا القديم لأنهما معا من الله عز وجل، وليس من الكشف الذي طلبه وصار وراءه.

- ✓ **القاعدة الثانية: يجب على المريد أن لا يجعل الكشف ميزانا لدرجة تطوره أو تراجعه في الطريق.**

والكثير ممن وقع في هذا الخطأ فأصبح يضع الكشف كميزان لمراقبة تطور سيره، وهنا قد يزيغ المريد إذا بلغ إلى درجة يظنها عالية من الكشف والتلقي وتكون نفسه غير كاملة بعد، فينطق بالادعاءات، ويتعالى على الخلق، ثم ينكسر في الطريق.

✓ **القاعدة الثالثة: لحصول الكشف يجب أن يكون المريد في حالة تسليم وطاعة ومحبة لشيخه، وليس في حالة اعتراض باطني أو انفصال عنه:**

ولكي يسري هذا الخيط النوراني من الكشف إلى المريد عن طريق شيخه، لا بد أن يكون المريد في حالة تسليم وطاعة وليس في حالة اعتراض باطني، لابد أن يكون في محبة واتصال بالله عز وجل، لا في تعلق بالخلق وانفصال وغفلة عن الله عز وجل، لهذا فمن الواجب على الشيخ أن يؤهل مريده لهذا الكشف عن طريق بعض المناهج التربوية التي تحقق المريد بالطاعة والتسليم، وتحققه بالمحبة وتحققه بحضور الله عز وجل ومعيته، فإذا وجد المريد نفسه قد أنهى هذه المناهج دون أن يتحقق بالكشف، فلا يجب عليه أن يسيء ظنه بشيخه، ولا بالطريق التي يسلكها، ولكن عليه أن يُخْلِي نفسه من طلبه لهذا الأمر.

✓ **القاعدة الرابعة: التشوف للكشف حاجب دونه، والإعراض عنه اتصال به:**

هذه سنة الله جرت في الطريق المؤدية إليه لكي لا يرتبط عبد بغيره، ولا ليتوجه إلا سواه، فإذا أخلى المريد نفسه من الكشف ولم يتحقق به فقد وجب عليه أن يُكْمِل منهج سيره إلى الله عز وجل، ويعتقد بأن هذا الحرمان هو فضل من الله ونعمة، وهكذا فإنه يجتاز عائق انسداد عين البصيرة بسلام، فيفتح له بعد ذلك ، ويتحقق بما أراد الله عز وجل أن يُحققه به، ذلك لأن المريد ينشغل بنفسه، وهذا ما لا يجب أن يكون، أو قد تجده منشغلا بما لا يستطيع إدراكه، مهملا لما في مستطاعه أن يدركه ، وهذا خطأ جسيم إذ لا بد أن ينشغل المريد، ويعمل جاهدا على إدراك ما يمكنه إدراكه كالذكر مثلا والتزكية والمحافظة على

حضور الله عز وجل، وهذا يكفي ليكون المريد كاملا في سيره إلى الله تعالى، فإن أكرمه الله بشيء لا يمكنه إدراكه فذلك فضل، وإن لم يكرمه فذلك فضل أيضا، فالله عز وجل أعلم بأحوال المريد، وأعلم بما يصلح له، وحكمته بالغة ليس من الضروري أن يحيط بها المريد في هذا المقام، ولا أن يحيط بها العارف في أعلى مقامات المعرفة لأن الحكمة إذا ظهرت وعُرِفت فإنها تصبح فكرة ونظرية فحسب، وفي ذلك الستر خير عظيم إلا أنه وجب طمأنة المريد الحائر في طريقه ، ووجب توجيهه وإقراره على الصواب، ونهييه عن الخطأ، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور الرابع:

ظلمانية النفس في تعطيل انبثاق بصيرة الكشف عند المريد.

النفس هي العائق الأكبر بين المريد وبين اتصاله بعوالم الباطن كما أنها هي العائق الأكبر بين إدراك الإنسان لحقيقته وجوهره، كما أنها تشكل اختبارا وابتلاء لكل من حمل الأمانة من الخلق، والمشاهدة أو الكشف ثمرة للمحافظة على الأمانة وردها إلى من ائتمننا عليها ، والنفس تطمس بصيرة الروح وحتى إذا انفتحت تلك البصيرة بالإذن فإنها لا تلبث إلا شهورا أو أياما حتى تنطفئ بظلمانية النفس، ومن باب حفظ الله عز وجل أنه لا يفتح على المريد الصادق في طلبه حتى تكتمل تربية نفسه، فقد تجد المريد قائما بكل الشؤون الأخرى من ذكر وعبادة وتطهير للجوارح إلا أن نفسه تكون مظلمة مُدَسَّسَة، فتصبح حائلا بينه وبين الكشف، فيظن المريد نتيجة جهله أن العيب في الطريق التي يسلكها أو في شيخه لأنه يعتقد أنه قام بكل ما عليه القيام به من ذكر، وعبادة وغير ذلك.. وهذا ما قد يضلل المريد ويمنعه من إكمال الطريق، فالشيخ أعلم بظلمانية النفوس إذا رجع إليه المريد في أمر نفسه، ولكن الفهم الخاطئ والهواجس النفسية قد تؤثر على المريد وتجعله يسيء الظن فيهلك، وينكسر في طريقه.

- **<u>ومن أكبر الصفات النفسية التي تمنع الكشف، هي:</u>**

- **<u>الصفة الأولى:</u> صفة الكبر**

لأن العبد لا يتحقق بالعبودية إلا إذا غرس نفسه في أرض الطاعة والافتقار والتذلل لله عز وجل، ورأى أنه أقل الخلق معرفة وعلما واجتهادا وطاعة، وإذا تحقق المريد بهذا الحال وصار عبدا حقيقيا لله عز وجل وثبت

عليه حتى أصبح مقاما فإن الإسراء والمعراج مفتوحين من على مقام العبدية ، فيفتح للمريد هذا الباب ويتحقق بالكشق والاتصال، أما إذا ظل منغرسا في ظلمانية الكبر فيستحيل أن يُفْتَح له باب المشاهدة إلا استدراجا وتضليلا ، وهذا لا يحدث لمن أحبهم الله عز وجل.

- **<u>الصفة الثانية</u>: طلب المنزلة عند الخلق :**

حيث تجد المريد متشوفا إلى أن ينظر غليه الخلق نظرة إجلال وتفخيم وتعظيم، وبهذا تجده فاقدا للإخلاص منشغلا بالخلائق، ويستحيل على المنشغل بالخلائق أن يدرك الحقائق، فالخلق في جهة، والحق في جهة أخرى، لذا فإذا أدبر المريد على الخلق فإنه قد توجه إلى الحق، والعكس صحيح.

- **<u>الصفة الثالثة:</u> التمرد**

حيث تجد المريد لم يتحقق بالطاعة الكاملة والخضوع التام لأمر الله عز وجل المتجلي في سيدنا محمد والمتجلي في شيخه، فتجده دائم الاعتراض ولو باطنيا فقط، والكشف إذا أُعْطي له ونفسه لم تتجرد بعد من هذه الصفة، فإنه قد يخرج عن طاعة شيخه في بعض الأمور فيكسر ويضل ويطرد من رحمة الله، أما إذا اعترض على شيخه قبل أن يفتح له باب الكشف هذا فإنه لا يؤاخذ بذلك لأنه جاء قاصدا التربية ، وهو معترف بأمراض نفسه، و ظلمانيتها، حتى إذا تحقق بالخضوع وزال من باطنه ذلك النزاع النفسي والاعتراض الباطني على أوامر الشيخ وسلوكاته وتصرفاته، فإن باب المشاهدة والكشف تفتح له، لأنه صار في أمن من الانفصال عن شيخه، أو الاعتراض باطنيا أو ظاهريا عليه،

- **الصفة الرابعة: الشك وضعف اليقين**

هذا ما قد يكون عائقا بين المريد وبين الكشف، لأن المشاهدة هي تتمة وتكميل لليقين، فإذا لم يكن موجودا أصلا، فلا دور للكشف إذن، فيحجب المريد لهذا السبب حتى يبدأ يقينه بالتثبت، وتنطفئ في عقله نيران الشك والتوهم ليأتي بعد ذلك تكميل اليقين وتحقيقه عن طريق الكشف والاتصال.

- **الصفة الخامسة: حب الدنيا والتنافس عليها.**

قد يكون المريد صالحا مصدقا خاضعا لشيخه، ولكن قلبه لم يخل بعد من محبة الدنيا وإذا أوتي بعضا من أسرار الكشف، فقد يغلب عليه الطمع ويستعملها فيما لا يرضاه الله ورسوله، بذلك فإن باب الكشف مغلوقة على من لازال في قلبه تشوف إلى الدنيا، وفي نفسه تشهي لها،

هذه هي الصفات الكبرى التي تمنع المريد من التحقق بمقام الكشف الحقيقي والنوراني، والحمد لله رب العالمين.

المحور الخامس:

دور الكشف في تحقيق المريد للقرب من الله عز وجل أو البعد منه

كثيرا ما يطرح هذا السؤال: هل للكشف دور في تحقيق القرب من الله عز وجل للمريد؟ وهل عدم وجوده يؤدي إلى البعد والانفصال عن الله عز وجل.

فالجواب عن هذا السؤال يكون أولا بتحديد طبيعة روح المريد وبتحديد سبب حجابه، فإذا كان السبب شيطانا أو نفسا أمارة بالسوء فإن ذلك الحجاب وعدم الكشف يبعد عن الله عز وجل ويفصل عنه ويسبب الغفلة للمريد

وإذا كان عدم وجود الكشف بأسباب نورانية منها: أن قوة روح المريد لا تواكب طينية جسده، ومنها أن حكمة الله عز وجل تقتضي أن لا يفتح له في تلك الفترة من الزمن، ومنها محبة الله عز وجل للمريد الذي تجعله يبذل الجهد ويذوق مرارة المجاهدة من أجل الوصول، فهذه الأسباب تجعل عدم حصول المشاهدة للمريد قربا من الله وليس بعدا عنه،

كما أن صبر المريد واحتسابه وصدقه في الطريق دون كشف أفضل له من السير في الطريق وهو مكشوف، فالله عز وجل يجرب صدق المريد و يختبر كل واحد منهم بقدر مستطاعه، فالمريد الضعيف وغير الثابت يهدي له الله سبحانه الكشف في أول وهلة ليثبته ويقنه ويسهل سلوكه إليه، وإذا

كان المريد قوي الإرادة متوسط اليقين فإن الله عز وجل يكرمه في وسط سيره بهذه المشاهدة التي تثبت يقينه وترفع عنه حجاب الأهواء والشهوات

وإذا كان المريد ذو قوة من الله عز وجل مؤيدا بإذنه مستعدا للتضحية بكل شيء من أجله سبحانه فإن الله سبحانه وتعالى يشدد عليه الاختبار أكثر ليعلي مقامه ويقربه منه قربا لم يؤت لغيره من أهل الكشف، فتلك حكمة الله عز وجل تجري في عباده، إذا كان سبب حجابهم نورانيا

أما إذا كان سبب الحجاب نفسا أمارة أو سحرا أو شيطانا همازا فإن المريد يخشى عليه من البعد عن الله عز وجل والانفصال عن الطريق، لذلك وجب على شيخه أن يخبره بسبب حجابه، إذا كان السبب ظلمانيا أما إذا كان نورانيا فخير له أن لا يخبره بذلك، وإذا أخبره بذلك فهي من باب التثبيت فحسب وليس من باب الوجوب كما هي حالة إخبار المريد المحجوب بالحواجز الظلمانية والعوائق الشيطانية

كما أن القرب من الله لا ينال بالمشاهدة ولا بالكشف ولا بالمعارف، وإنما يدرك بصدق النية، وإخلاص الطلب، وبدرجة ارتباط المريد بشيخه وسلوكه على يديه ومجاهدته لنفسه، والقرب من الله عز وجل في أعلى ما يدركه العارفون والمشايخ الكبار ليس مشاهدة وإنما فناء عن المشاهدة في الشعور والإحساس، ولا تكون تلك المشاهدة التي مرت بهم إلا لإخراجهم من ظلمانية الحواجز وإغراقهم في بحر الوحدة، لذلك حتى المريد المبتدئ قد يدرك القرب من الله عن طريق الفناء والشعور فقط لأن ذلك هو الأصل، وليس الأصل هو المشاهدة، لهذا فقد يكون المريد المحجوب أكثر قربا

واتصالا من المريد المكشوف إذا كان الحجاب حكمة إلهية، وبالتالي نخلص إلى أن الكشف ليس مقصودا في ذاته وإنما هو وسيلة فقط لينقل المريد من مقام الحس إلى مقام المعنى، من الشعور بالخلق إلى الشعور بالحق، من فناء الذات الذي سيلحق به إلى فناء الروح الذي لن يلحق به إلا إذا سلك طريق الله عز وجل،

ومن الحقائق المستورة أن بعض الأنبياء الذين اختارهم الله عز وجل لم يكونوا من أهل الكشف ولا من أهل المشاهدة وإنما كانوا من أهل القرب فقط وأهل الخطاب والمحادثة والمناجاة وهذا الباب مفتوح لسائر العباد.

فالله عز وجل سميع بصير، كما أن المريد يفنى عن مشاهدته في تجليات الله إذا أدرك أن الله يشاهده، فمشاهدة الله تعالى للمريد أنفع له من مشاهدته لتجليات الله عز وجل التي تظهر في خلقه وفي سماءه وأرضه وفي تنزلات عرشه

كما أن المشاهدة الحقيقة المطلوبة هي مشاهدة المجازات مشاهدة الفضل مشاهدة المزيد وهي المقصودة في الطريق، وهذه المشاهدة لا تتحقق في الدنيا كلية وإنما تتحقق في الآخرة لذلك يجب على المريد إذا قصد الكشف والمشاهدة أن يقصد مشاهدة الآخرة ومشاهدة الجنة لأنها متحققة بما يحققها بهذه المقصدية فهي مرتبطة بالنظر إلى الله عز وجل، هذه المشاهدة ينالها من سلك الطريق وجاهد نفسه، ولا ينالها عامة المسلمين وبعض المؤمنين، لذلك فإن المريد إذا حجب في الدنيا وهو ثابت على الطريق فإنه لن يحجب في الاخره والمشاهدة المقصودة هي مشاهدة

الآخرة، أما إذا كوشف في الدنيا وظل بتلك المكاشفة فإنه لا يحظى بمشاهدة الاخره وهي المقصودة: فيكون ضيع الدائم من أجل المؤقت، وضحى بالمقصود، وهذا ما لا يرضاه الله عز وجل لعباده لذلك فقد جعل أمر الكشف أمرا عسيرا وخصوصا لبعض أصناف المريدين الذين قد يزيغ بهم الكشف عن الطريق المستقيم، فهذا فضل الله عز وجل على عباده كما أن المريد الصادق يجب أن يؤمن بأن اختيار الله عز وجل له خير من اختياره لنفسه فإذا اختار الكشف واختار له الله عز وجل الحجاب فهذا يعني أنه لم يبلغ مقام المريدية بعد، فالمريد هو من أفنى إرادته في إرادة الله عز وجل فلا اختلاف بين إرادته واختياره وإرادته عز وجل واختياره لذلك فالمريد الحقيقي هو الذي تطابق إرادته إرادة الله عز وجل، إذا اختار له الله تعالى الكشف فإنه يختار الكشف ويريده وإذا أراد له الله عز وجل الحجاب فإنه يختار الحجاب ويريده.

ولكن في كلا الحالتين الكشف لا يشكل ميزة في الطريق، فليس المكشوف خيرا من المحجوب وليس المحجوب خيرا من المكشوف ولكن الذي يشكل الميزة في الطريق هو الثبات والصمود في وجه العواصف والشهوات إلى أن يمن الله عز وجل عليه بالوصول فيبسط له حينئذ باب المشاهدة سواء في الدنيا أو في الآخرة ومشاهدة الآخرة هي المشاهدة الأفضل والأكمل لأنها تكون مشاهدة مجازات على عمل المريد وعلى التضحية التي بدلها في الطريق ولا تكون مشاهدة فضل ولا مشاهدة إعانة وتقوية وتثبيت فالفرق بينهما شاسع

كما أنها تكون بغير واسطة ومشاهدة الدنيا تتم بواسطتين واسطة النبي الأكرم وواسطة الشيخ المربي

وفي الختام فالله عزوجل ظاهر لا يحتاج إلى المشاهدة ليعرف، وباطن لا تكشفه المشاهدة، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور السادس:

علاقة التزكية والمجاهدة بالكشف والمشاهدة

التزكية والمجاهدة في الطريق مطلوبة ومقصودة من أجل الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وغالبية المريدين تكون مشاهدتهم في تطورها مقرونة بتطورهم في منهج التزكية، وفي السير إلى الله عز وجل.

قواعد تطور المشاهدة في علاقتها بالمجاهدة:

1) مشاهدة التثبيت:

المريد إذا بدأ منهج تزكية الجوارح فإنه علاقته القلبية تبدأ بالاتصال مع الشيخ شيئا فشيئا، وإذا أعطيت له المشاهدة في هذه الفترة فهي لا تكون إلا منحة وتثبيتا وهدية فقط، ونسميها **"مشاهدة التثبيت"** ولا تكون للمريد أية مشاهدة غير هذا في هذه المرحلة.

2) مشاهدة الخيال:

فإذا أنهى تزكية الجوارح فإن مشاهدته تنتقل إلى مقام **"المشاهدة بالخيال"** ويكون هذا الخيال مسيرا متحركا لوحده وليس ميتا، وتكون هذه أول باب تفتح للكشف حين إتمامه منهج تزكية الجوارح.

3) مشاهدة العقل:

وإذا انتقل بعدها المريد إلى تزكية العقل وإخلائه من الظنون والأفكار الشريرة وربطه بمعية الله عز وجل فإن عين عقله تفتح ليبدأ بمشاهدة

العقل، وهي مشاهدة بين الخيال والحقيقة، قد نسميها أيضا ب"**مشاهدة الأطياف**" أو "**مشاهدة الفهم والإدراك**".

4) **مشاهدة القلب أو مشاهدة الإيقان:**

حتى إذا انتقل المريد إلى تزكية النفس وبدأ يجاهد ظلمانيتها، وقام بملء جداول عملية من أجل التخلص من الصفات الذميمة فإن مرآة قلبه تصفو، وعين قلبه تفتح تدريجيا، فإذا وصل إلى منتصف مجاهدة النفس فإنها تفتح كليا، ومشاهدة القلب تكون صافية لا تحتاج إلى تفسير ولا إلى تأويل، وقد نسميها: "**مشاهدة الإيقان**" لأنها تكشف المريد على بعض الحقائق الربانية تطلعه على بعض الأسرار الإلهية.

5) **مشاهدة الروح:**

فإذا أتم تزكية نفسه فصفت وتطهرت وبلغت إلى النفس اللوامة في أعلى مراقيها، أو إلى النفس الراضية المرضية فإن روحه تخرج من ذاته خروج فناء، وتفتح بصيرتها على بصيرة الشيخ لتشاهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولتشاهد مظاهر تجليات الله عز وجل، وهي أعلى مشاهدة يدركها العارف في الدنيا لأن ما بعد هذه المشاهدة هي "**اللامشاهدة**"، حيث يحيا العارف بالله عز وجل فيصبح غير محتاج للمشاهدة من أجل معرفته ومن أجل تحقيق القرب منه، حيث يصبح متصلا به اتصال بقاء.

6) مشاهدة كلية أو مزيدية:

ولا تكتمل المشاهدة الكلية إلا في الدار الآخرة. هذا هو الارتباط الذي يحصل عند أغلبية المريدين بين منهج التزكية وبين الكشف والمشاهدة إلا أنه لابد من وجود استثناءات، تلك لا نتحدث عنها في هذا الباب.

لهذا فعلى المريد أَوَّلًا أن يُحَصِّل تزكيته لا أن ينشغل بتحصيل الكشف والمشاهدة وهو مهمل لتزكية نفسه تارك إياها في بحر الظلمات والشهوات، أما بالنسبة للمشاهدة التي تخدم أمر المنهج والدعوة كمشاهدة العلاج أو مشاهدة العلم مثلا، فهي تعطى لأكثر المريدين تأهلا ولكنها تكون هدية كذلك كما هي مشاهدة التثبيت وقد تُسْلب منه في أي وقت.

الحكمة من المزامنة بين منهج التزكية والمشاهدة:

وفي المزامنة بين منهج التزكية والكشف حكمة كبيرة حيث إن المريد في البداية **يتشجع ويجتهد في التزكية** بفعل مشاهدة التثبيت، فينقله ذلك إلى مشاهدة الخيال تلك التي **تشجعه وتحفزه أكثر فأكثر** ليصل بعدها إلى مشاهدة الأطياف، ومشاهدة الأطياف **تقيه الوقوع في المعاصي، وتجنبه الغفلة والملهيات**، وذلك ما يجعله **يركز على السلوك تركيز أولوية، ويهمل تعلقات نفسه** من طلب للدنيا، وطلب للرزق، وهذا ما يجعله يترقى إلى المشاهدة القلبية التي لابد منها في تزكية النفس، فهي التي **تثبت المريد على تزكيته لنفسه، وتزيل بعض مرارة المجاهدة، وتسلب ظلمانية نفسه، وتزيل بعض الصفات الغريزية** التي لا تزال إلا بهذا الصنف من المشاهدة القلبية، لذلك فالمشاهدة القلبية هي وسيلة من وسائل تزكية النفس، فإذا

استعان بها المريد وأتم تزكية نفسه فإن روحه حينئذ تتحرر، ويصل إلى المشاهدة الحقيقية وهي غير مقصودة كذلك، ولكنها فضل من الله عز وجل يهبها لمن شاء من عباده، ويحرم منها من شاء،

فإذا تحقق المريد بهذا المقام من التزكية ومن الله عز وجل عليه بالوصول فإنه يصبح غير محتاج للمشاهدة الدنيوية منتظرا للمشاهدة المزيدية في الآخرة، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور السابع:

مخاطر الكشف التي تواجه المريد في سيره إلى الله

الكشف نعمة من الله وتثبيت منه، وهو كذلك اختبار وابتلاء يجرب به الله عز وجل صدق المريد في طلبه، وإخلاصه في سيره إليه، إلا أن هذا الكشف قد يُضَلِّل المريد في بعض المسارات، لذلك فأهم قاعدة من قواعده هي أن يرجع المريد إلى شيخه ويستشيره في أي مشاهدة شاهدها أو أي مكاشفة كوشف عليها ، ففي ذلك سلامة له، وليس زيادة في معرفة الشيخ.

فأول ما يفتح على المريد في اتصاله بعالم الدنيا، فإنه يشاهد بعض ممالك الحيوانات والعوالم الأرضية، وذلك ما قد يجره إلى محبة الدنيا أو إلى محاولة نيل النصيب منها بواسطة الكشف، فتجده مطلعا على بعض أسرار هذه الأرض.

وإذا كانت نفسه لم تَصْفُ بعد، فإنه يحاول أن يمتاز على غيره من المريدين وغيره من الخلق بإظهار بعض هذه الأسرار، فإذا أظهر سرا منها فإنه يُكْسَرُ في الطريق، ويُحْجَبُ من جديد، ثم يعاد إلى البداية فليحذر المريد من كشف أي سر من أسرار الباطن، خصوصا إذا لم يكن له الإذن من شيخه في التبليغ عنها لأن ذلك من سوء الأدب مع شيخه أولا ، ومع سيدنا رسول الله ثانيا، ثم يصبح شيخه غير قادر على ائتمانه لأنه أفشى أسرار الأرض فكيف يأتمنه على أسرار الله عز وجل

فإذا تقيد المريد بهذه التعليمات فإن كشفه يزداد ومشاهداته تتوسع، ويستطيع النفوذ إلى عوالم أخرى كعوالم الجن أو الشياطين، وعوالم لا يعلمها غالبية أهل الأرض مما قد يثير نزعة الكبر في نفسه ويجعله يظن أنه أعلم الخلق، وأنه صاحب الحقيقة، فإذا تمكن هذا الظن في نفسه فإنه يكسره في الطريق لأن كل تلك العوالم التي يراها المريد قبل النضج ليست إلا وهما كالوهم الأرضي، وإنما حقيقة العوالم هي التي يبصرها المريد بربه بعد أن تكتمل تربيته ويفنى في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن كل المشاهدات باطلة قبل مشاهدة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبطلانها لا يقتضي عدم صحتها وعدم وجودها وإنما يقتضي عدم تثبت المريد منها، وعدم إمكانية الحسم فيها من طرفه أو من طرف أي كان غير شيخه المسؤول عن مشاهدات روحه وعن سفرها في الزمان والمكان وفي العوالم، كما أن العوالم والمخلوقات الأخرى التي يراها المريد في بعض المراحل من سيره تحصل له من باب زيادة اليقين، ومن باب زيادة الافتقار والتذلل و التواضع ونفي العلم والمعرفة، فإذا أثمرت فيه العكس فإنه يُحْجَب ويعاد من حيث بدأ.

فليحذر المريد من هذا الأمر أشد الحذر، ولْيَنْفِي أي اعتماد له على مكاشفاته في تبيان الحقيقة المؤكدة، ولْيَبْنِي هذه الحقيقة على معرفة شيخه، وعلى ما يثبته و يؤكده من هذه المشاهدات، أما غيرها فإنها فيض وحسب قد تدخل في الاستدراج أو في المكاشفة أو في الترقية، ولا يمكن للمريد أن يعرف حقيقة المشاهدة فهو يعرف صورتها فقط، فصورتها هي ما بدى له ولاح في سره، من صور ظاهرية لتلك العوالم، أما حقيقتها فهي

سبب تنزلها من الحضرة العلية إلى قلبه وسره تلك التي يعلمها الشيخ زلا يعلمها المريد، أهي مشاهدة ترقية؟ أم مشاهدة استدراج؟ أم مشاهدة حرمان؟ أو مشاهدة طرد؟

هذه الدلائل وجب على المريد أن يرجع لشيخه فيها ولا يغتر بالصور فحتى مشاهدة الطرد من الطريق تكون صورها واضحة وعلومها فذة مما يغتر بها المريد ويظن أنه على الصراط المستقيم بينما شيخه يكون عالما بسر تنزل هذه المشاهدة عليه، فإذا رجع المريد إلى شيخه في هته المشاهدة وفي نفسه شيء من التذلل والافتقار قد يُصْلِحه شيخه، ويصد عنه تلك المشاهدة ويغلق عنه بابها، ثم يفتح له باب مشاهدة الترقية و باب مشاهدة السلوك وذلك ما ينفع المريد في سيره.

أما إذا ستر المريد عن الشيخ صورة المشاهدة فإن الشيخ يستر عنه حقيقة المشاهدة ويتركه في ضلالته تتخبطه الشياطين من حيث لا يدري، والأخطر في الأمر أن المريد تجده يحسب أنه يحسن صنعا وأنه قد ترقى وأن مقامه قد ارتفع وهو ليس إلا يهوي في نار جهنم وفي هاوية البعد من الله عز وجل، فعلى المريد أن يعلم ويتيقن من أن صور المشاهدات قبل مشاهدة ذات سيدنا محمد وهم، وأنها تنفعه في حالة إذا التزم بالأدب مع شيخه، وتضره في حالة إذا ما أساء الأدب معه وأخفى عنه مشاهداته، وليس نفعها أن يظهرها للخلق وأن يمتاز بها عنهم، فذلك شر فيها، ولكن النفس تغري المريد وخصوصا في هذه المرحلة بالضبط من الكشف حيث يكون مطلعا على عوالم يظن أنه لم يسبقه إليها أحد، ذلك في نظره فقط.

ومن أخطار المشاهدة والكشف كذلك أنها تحجب المريد عن إدراك الله عز وجل في أعلى مقاماتها حيث إن المريد قد ينظر إلى تجلي الله عليه ويغفل عن الله عز وجل، أو يخلط ما بين الله عز وجل وبين تجلياته، وهذا إذا حصل للمريد وهو في الحضرة الأحدية غير متوجه بوجه شيخه فإنه يهلك ويطرد من رحمة الله عز وجل، إلا إذا كان بوجه شيخه فإن الشيخ يصلحه ويحجب عنه إساءة الأدب في الحضرة.

كما أن المريد قد يخطئ بمشاهدته وفتحه في معرفة حقيقة الحضرة الإلهية حيث إنه يخلط في التجلي ما بين تجلي الأسماء وتجلي الصفات، وتجلي القدرة وتجلي الحقائق، وتجلي مظاهر الذات، والتجلي بالواسطة والتجلي بالواسطة المحمدية، والتجلي بالصورة الأحدية ذلك ما قد يَسْلُب المريد عن حسه، و يتسبب له إما في إساءة الأدب مع الحضرة أو بمرض الجذب وفقدان التوازن بين الذات والروح، بين الطينية والحقيقة، ما بين الطبيعة وأسرار المشاهدة ،

فالكشف في كل مراتبه يشكل خطرا على المريد إلا أنه في المراتب الدنيا أقل خطرا، وفي المراتب العليا أكثر خطرا، لذا وجب على المريد أن يحتاط من البداية في هذا الأمر، وأن لا يدخل إلى مجلس ولا إلى حضرة ولا إلى عالم ولا إلى تجليات إلا بصورة شيخه محتميا بقلبه خاضعا تحت قدميه لكي يمنع عنه الشيخ الضرر الذي يلحق به باطنيا إن أساء الأدب أو أساء الاعتقاد أو أساء الفهم، أو طغت نفسه وظهرت بعض شهواتها وبعض صفاتها الظلمانية.

أما إذا دخل المريد بصورته إلى هذه الحضرة سواء كانت حضرة المشايخ أو حضرة العوالم أو حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون أن يكون محتميا بجسد شيخه ولو أنه دخل بإذنه، وأساء الأدب فإنه يتضرر من ذلك كل الضرر، وقد يطرد ويُخْرَج من الحضرة ويمنع من المشاهدة، لذلك فالمشايخ يعلمون ثقل أمانة المشاهدة وثقل سر الكشف، لذلك فإنهم لا يعطونها للمريد حتى يتأكدون كل التأكد من سلامة نفسه وصفاته، ومن تأدبه وخضوعه، ومن عدم رغبته لا في تحصيل الدنيا، ولا في تحصيل مقامات الولاية والصلاح.

لهذا فأمر الكشف والمشاهدة أو أمر الباطن بشكل عام، لا يمكن للشخص أو للمريد أن يخوضه وحد إلا أن يخوضه بشيخه فيتمسك به في كل حضرة دخلها، وفي كل معرفة يطلع عليها ولا يستر عنه شيئا، ولا يُطلِع الخلق عن ما كُوشف به ويتشبث بالأدب، ويحتمي بالمحبة حتى تصفو مرآة قلبه وتَرْسَخ أنوار روحه على مشاهدة ذات الحبيب صلى الله عليه وسلم، فتَقِرَّ عينه بعد ذلك بالسلامة والهناء، وباطمئنان شيخه عليه وإذنه له، وبمقام الوصول والفناء، هذا والحمد لله رب العالمين.

الجزء الثاني

مقامات المشاهدة

في طريق السلوك

مقامات المشاهدة

ننتقل بإذن الله تعالى إلى الحديث عن مقامات المشاهدة وهو من آخر مستويات مقامات الصديقين، وأول مقام يختم به على سير المريد في مقاماته العليا، وكذا يختبر به في المقامات الأولى وهو مقام المشاهدة، وهذا المقام كله فضل من الله عكس المقامات السابقة التي يجب على المريد ان يجتهد فيها لتحقيقها، فهو فضل محض، أما في مقاماتها الأولى ليس ضروريا أن يمتلك المريد هذا المقام، ولكن فليكن على يقين أنه لا يختم على سيره بالوصول حتى يختم على بصيرته بمشاهدة تجلي ذات الله عز وجل، وهذا التجلي لا ينتهي ولا ينقطع، ولا يتشكل ولا يتمثل بل هو مستمر باق ببقاء الله عز وجل، وهو مقصود في السير إلى الله تعالى لأن طلب الله يتضمن قواعد ذاتية بشرية، في اتصال المريد بربه، ولا تنتهي هذه القواعد حتى ينتقل المريد إلى عالم البرزخ، أو إلى عالم الله عز وجل.

وضمن هذه القواعد: **المجالسة والمشاهدة والخطاب والكلام**، فهذه علائق تصل المحب بمحبوبه، وهي أعلى ما يصله المريد في دار الفناء في طريقه إلى الله تعالى، ولكن إن انتقل إلى دار البقاء تكون صلته بالله غير محتاجة إلى هذه القواعد البشرية، لأن كل ما بقي في المريد من بشرية بعد وصوله إلى الله يمحوه انمحاء الجسد تحت الأرض ليصير مع الله بلا علاقة.

1/ المحور الأول:

مقام مشاهدة التثبيت:

وأول مقام من مقامات المشاهدة الذي هو مقام المبتدئين في السير إلى الله تعالى، ويسمى مقام مشاهدة التثبيت، حيث يكشف المريد في هذه المرحلة وهو أول كشف يحصل له بعد التحاقه بشيخه من أجل أن يتثبت ويرسخ في طريق الله عز وجل، وليعلم أن هذه الطريق هي طريق حق، وأنها موصلة إلى الله سالكة وسط العواصف، وأن منتهاها هو الله عز وجل، فيرتاح باطن المريد وظاهره من التشوف والبحث عن طرق أخرى موصلة إلى الحق جل جلاله وهذه المشاهدة لا تتعدى حجاب ذاته حيث إنه يشاهد وهو في وسط ذاته لا يخرج منها ولا يجتاز حجاب الذات بعد، وكل ما يشاهده نفحات تصله من بركات الذكر المأذون الذي أمده به شيخه، فقط ليتثبت من أن هذا الطريق هو طريق الله تعالى. فالهدف من هذه المشاهدة هو التثبيت وليس التيقين حيث لا تحجبه هذه المشاهدة عن الشك في المنهج أو الشك في شيخه، أو الرجوع من الطريق أو تغييرها؛ فهي مجرد مشاهدة برهان لتكون له شاهدة عند الله عز وجل.

وهذه المشاهدة تنقطع فور انعقاد نية المريد على السير في هذه الطريق لتليها درجات أخرى من المشاهدة، ودرجات المشاهدة كثيرة سنتطرق بإذن الله لكل واحدة منها، فهناك مشاهدة الابتلاء والاختبار، وهي غالبا ما تأتي بعد التثبيت، ومشاهدة الإيقان، ومشاهدة الإرشاد ومشاهدة التحقيق، ومشاهدة اللّامشاهدة، تليها بعد ذلك مشاهدة الوصول وهي المشاهدة الراسخة التي تقي المريد من أي زيغ أو انحراف عن طريق الله عز وجل، وفيها كمال المشاهد. والمريد لا بد أن يمر من

مسلك هذه المشاهدات بدءا من مشاهدة التثبيت وختما بمشاهدة الوصول، ولكن ليس فرضا أن يكون ما بينهما على هذا الترتيب الذي ذكرناه، فذلك يأتي حسب المريد وطاقته وفضل الله عليه.

وفي الحقيقة مشاهدة التثبيت هي فضل من الله عز وجل وليست فقط تكون شاهدة عليه يوم القيامة، وإنما تكون شاهدة له في الحياة الدنيا، حتى إنه إذا ما زاغ عن الطريق ترده هذه المشاهدة إن أراد الله به خيرا، وإلا فينساها وتنمحي من ذاكرته، وهذه علامة أنه لن يتقدم أبدا في مستويات المشاهدة التي تليها ويخاف عليه من الإعراض والإنكار وسوء الخاتمة والعياذ بالله، وهذه المشاهدة تتضمن صوتا وصورة وأغلب ما تتوجه إليه المشاهد هي صورة الشيخ وأحيانا بقية المشايخ، واتصاله المباشر برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويتركز الخطاب الذي يسمعه المريد في هذا المقام على أن ذلك الشيخ هو وسيلته إلى الله وأنه موصول برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن صحبته فيها الفلاح والنجاح والإعراض عنه هو الهلاك لا احتراز منه، ولا تكون مشاهدة معمقة ولا تتجاوز نطاق المشايخ ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يظن بعض المريدين في هذه المرحلة أنهم وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الحقيقة حتى ذلك النور الذي يرونه ليس برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما تثبيت لهم على أن ذلك الشيخ موصول برسول الله موصل لهم، وكيف يريدون الوصول إلى رسول الله وهم في بداية السير ومازالت التعلقات تحيط بهم من كل جهة؟، وما زالت أنفسهم لم تبدأ السير بعد؟

إن وقت بداية سير المريد إلى الله تعالى يختلف اختلافا كليا عن وقت بداية النفس ذلك السير؛ فالنفس قد تبدأ بعد سنتين أو ربما بعد ثلاث والعلم لله، وأقصر ما يكون الفرق بينهم هو ستة أشهر إلى سنة، فهذا كل ما تصله هذه المشاهدة ـ مشاهدة التثبيت ـ حيث إنها تحوم كليا حول تثبيت المريد في طريقه وقد تكون له تحلية تمنعه من الزيغ في المعاصي، وقد تكون له تحلية قبل التخلية، وهي ليست حتى 0,001% من المشاهدة الحقيقة، ولكن المريد ينشغل بها ويستحليها حتى يظنها كل السير إلى الله تعالى، فإذا انقطعت مشاهدته أوقف سيره، لكن ذلك الانقطاع هو في الحقيقة ترق له إلى مستويات أخرى من المشاهدة الحقيقية. والحمد لله رب العالمين.

2/ المحور الثاني:

مقام مشاهدة الاختبار:

المقام الثاني من مقامات المشاهدة وهو مقام مشاهدة الاختبار الذي يأتي بعد مشاهدة التثبيت، فإذا ثُبِّت المريد على طريقته وقضى أشواطا من الذكر والمجاهدة تأتي هذه المشاهدة إليه وتكون أوضح وأعمق من التي قبلها بغرض اختبار صدق نيته، وكمال إخلاصه وإلحاحه في الوصول إلى الله عز وجل، فتأتي هذه المشاهدة قصد أن تعيقه و تلفته إليها.

و رَدُّ فعل المريد على ذلك يكون صنفين:

الصنف الأول: الناجح من المريدين الذي يكون قوي العزيمة والإرادة،
دخل السير من أجل الوصول إلى الله، ونار الشوق لله عز وجل مشتعلة كالبركان في قلبه لا تخمد أبدا، يتخطى كل العوائق ويريد الوصول بصدق إلى الله عز وجل، فإذا أتته لا يلقي لها بالا ولا يتوجه إليها ولو رأى منها ما رأى فتجده يغوص فيها ويخرج منها وقلبه لازال متشوفا يشعر أنه لم يبلغ مقصوده بعد، بل إن مقصوده أبعد من هذا ـ مقصوده هو الله عز وجل ـ فيرجع إلى الطريق ليكمل سيره .

والصنف الثاني: ضعيف الهمة من المريدين: وهو الذي تجد إلحاحه في الوصول إلى الله تعالى ضعيفا، دخل السير ربما من أجل التجريب أو ربما وجد نفسه هناك دون سابق معرفة، وعزمه ضعيف لا يبتغي الوصول إلى الله تعالى وإنما يبتغي غير ذلك، فإذا غاص في هذه المشاهدة خرج منها فرحا مسرورا ووجد قلبه قد أُطْفِئَتْ نار طَلَبِه وأُخْمِدَتْ، وأنه قد خمد عزمه وإلحاحه وكأنه بلغ إلى إلى

مقصوده، فيراها أغلى ما يمكن أن يصله؛ فمجرد هذا الشعور يُبْرِدُه عن السير في طريق الله تعالى؛ فإما ينحرف ويتبعها، أو يعود إلى السكة لإكمال سيره، فيجد همته قد ضعفت وكأنه قد نال كل مطلوبه فيتقدم قليلا ثم يرجع ويستكين إلى تلك المشاهدة فلا يبلغ المقصود الذي هو الله عز وجل، وهذه من أكبر الاختبارات التي توضع في طريق المريد وهي اختبارات حاسمة لمصيره، وهذه المشاهدة لا تكون محدودة كالسابق وإنما تكون منفتحة على كل شيء.

ـ علامات مشاهدة الاختبار:

أولا: تجدها منحصرة على عالم الدنيا لا تخترق برزخه فإذا أراد التوجه إلى السماء انطفأت عين بصيرته فلا يطيق ذلك.

ثانيا: تغير القصد لدى المريد فيها. فلا يصير مقصودها هو الله عز وجل بل تتفرق به المقاصد كالرياء والسمعة، ثم تنحرف أكثر إلى الانتقام وغير ذلك فيتوجه إلى السحر والشعوذة لتتحول مشاهداته إلى فتح ظلماني فينفصل عن الله تعالى، وكل هذا دون أن يشعر بذلك ولا يشعر حتى يجد نفسه قد انفصل عن ركب السائرين إلى الله تعالى، ونشبه ذلك بسكة مستقيمة وطريق مستقيم هو طريق الله منتهاه هو الوصول إلى الله عز وجل وفي جانبه انحرافات قد تكون للاستراحة أو غير ذلك، وهذه الانحرافات غير حقيقية ولكن وهمية، فور دخول المريد إليها تنقطع طريق الرجوع، فيجد أن الطريق التي دخل منها طريق وهمية ولا يستطيع الرجوع إلى السكة بل يجد نفسه قد حوصر في ذلك المكان ولا طريق له للرجوع إلى سبيل الله عز وجل المستقيم.

وغالبا ما يختبر المريد بمثل هذه الاختبارات في وسط سيره لأنه يكون قد انتقل إلى مرحلة مهمة تحدد صدق طلبه من البداية، وقد لا يظهر هذا عند بداية سيره بل قد تجد المريد منغلقا لا يفكر في المشاهدات ولا يطلبها، بل نقول لا يظهر ذلك على ظاهره ولكن يكون في باطنه شيء من ذلك حتى إذا توسط السير يظهر في المريد كل ما كان لغير الله فإما أن يتصحح ليكمل طريقه مجردا وإما ينحرف به عن السبيل المستقيم،

ـ ومن أجل تفادي فشل المريد في هذه الابتلاءات:

أولا: عليه أن يمحص مقصوده في بداية السير ويوجهه كليا إلى الله تعالى، ولا يوجهه بالقول فقط وإنما يوجه وجدانه وكيانه وباطنه وارتباطه وتعلقه بالله عز وجل، ولكنه لا بد أن يكون له تشوق لهذا المقام لأنه مقام غائب عن العيان وذلك يكون من باب الفضول فقط، وليس من باب القصد، فنقول هذا أمر طبيعي يحصل لدى كافة المريدين أما إن كان من باب القصد فعليه تصحيح نيته.

ثانيا: عليه الرجوع إلى شيخه وإخباره بذلك لكي لا يتفاقم حاله المرضي ويزداد سوءا وفي الحقيقة من الضروري على المريد أن يخبر شيخه بكل ما يقف عائقا بينه وبين اله تعالى فيحل المرشد ذلك عائقا بعد عائق، ويحله بكلام يطمئن عقل المريد وبنور يسري إلى باطنه فيمسح تلك التعلقات ويطهرها ويوجهها لله عز وجل، وهذا من أخطر ما يهلك المريد فكان الأولى أن يخبر به شيخه ليقيه شر الالتفات والزيغ والخروج من الطريق، ولكن يبقى على المريد أن يصحح قصده بنفسه، فوظيفة المرشد هنا فقط حماية المريد من أن يزيغ في تلك الكشوفات، لكن أمر القصد هو أمر حاسم على المريد أن يعلمه قبل أن يتوجه إلى الشيخ

فذلك الشيخ يوصله إلى الله، ويجب أن يكون قصده إليه من أجل ذلك، وإن لم تكن له رغبة في الوصول وإلحاح عليه من البداية لا يقصد الشيخ.

قد يقصدالمريد الشيخ من أجل الكشف فقط والمشاهدة، وهذا يعلمه الشيخ ولكن يقبله لفترة معينة حتى يُعَرِّفه الحق فيصحح مقصوده، وإن لم يحدث له ذلك فإنه يترك صحبته ويُخْرِجُه من سلك مريديه، ولكن للشيخ دور كذلك في تصحيح قصد المريد حيث إنه يظهر له فناء المشاهدات وعدم استمراريتها وعدم بقاءها فيظهر له النقص فيها، ويظهر له الكمال في الله عز وجل، بأن يقطع عنه تلك المشاهدات، ثم يعيدها، ثم يقطعها، فيظهر له أنها لا تستحق أن تكون له مقصدا ومطلوبا.

فهذه بعض الطرق التي يعالج بها الشيخ مريده ويساعده على تصحيح قصده ولكن أصل تصحيح القصد يكون من نفس المريد والشيخ يعينه على ذلك. والله فضله عظيم فإن شاء أن يتجاوز بعبده العقبات ويوصله إليه قطع عنه المشاهدة حتى يتصحح قصده، وإن أمده ـ ومدد الله يسرى للصالح وغير الصالح من عباده ـ فإنه لا شك يهلك ويزيغ عن المقصود، والحمد لله رب العالمين.

3/ المحور الثالث:

مقام مشاهدة الإيقان:

المقام الثالث من مقامات المشاهدة وهو مقام مشاهدة الإيقان، حيث يعلم المريد الحق من الباطل، وغالبا ما تأتي بعد تجاوزه لمقام مشاهدة الابتلاء والاختبار، فإن نجح ترق إلى مقام مشاهدة الإيقان حيث تصير مشاهدته صافية واضحة مفهومة لا غبار عليها، والهدف منها هو ترقي المريد في درجات اليقين من علم اليقين إلى عين اليقين ليطمئن اطمئنانا كاملا. وهذه المشاهدة تبقى راسخة عند المريد قد تنقطع لفترات محدودة من أجل الترقية، ولكن ميزتها أنها ترسخ في عقل المريد تَذَكُّرًا فلا تنمحي منه، وفي قلبه إيمانا وإيقانا فلا يخرج من قلبه هذا الإيقان.

ـ من علامات هذه المشاهدة:

1/ **لا تُحَدُّ ببرزخ الدنيا**، وإنما تكون متصلة بباقي العوالم بل أحيانا تكون مُنْكَبَّة فقط على العوالم الأخرى غير متوجهة نهائيا إلى الدنيا.

2/ **تنصب على تثبيت عقيدة المريد** وتختص بمشاهدة الحياة بعد الموت، ومشاهدة البرزخ وعوالم الصراط، وأحيانا الجنة والنار، وهذا كله إيقانا للمريد، فإن بلغ لهذه المشاهدة لا يمكنه أن يُكَذِّب شيئا مما رآه، لأنها مشاهدة حق، وأي التفات له قد يؤدي إلى خروجه من طريق الله تعالى. وهذه مشاهدة خطيرة جدا على سير المريد لأنها تظهر له الحق عيانا ولا تترك له أي التباس ولا غموض عقدي

أو منهجي، وبالتالي فقد عرف الآن، فعليه لزوم شيخه وإلا إن التفت عنه، فإنه يخرج من قائمة السائرين إلى الله تعالى.

3/ اتساع الأفق، فالمريد حينئذ يصير متصلا اتصالا ذاتيا بتلك العوالم فلا تبقى مجرد مشاهدات من ذاته، ولكن ذاته الروحية تحضر حقيقة في تلك العوالم، ولا يَفْرُقُ شيء بين السفر بذات روحه وذات طينيته إلا اتساع أفق الذات الروحية وخفتها، وضيق أفق الذات الطينية وثقلها، فيصير له سفر واحد.

4/ اكتمال مقامات الكشف لدى المريد، فلا يحتاج لتفسير لما يراه بل تصير جهات نظره محررة ـ غير مقيد بجهة النظر الست ـ، وهذا اكتمال لمقام الكشف، وليس اكتمالا لمقامات المشاهدة بعد، لأن الكشف يرتبط بالمكشوف عليه وبزوال الستار عن بصيرته، والمشاهدة تختص بالمنظور إليه والمشاهد، وليس لها ارتباط بذات مَنْ يشاهد ذلك، فقد يغيب عن ذاته ويبقى في حال مشاهدة، وهذا كمال للمشاهدة، فلا يبقى له مجال للرجوع أو التراجع؛ فهو الآن وسط الحقيقة علم ما كان في عالم الأرواح وما سيأتي بعده، يعلم حياة البرزخ وأن الحساب شديد حيث سيحاسب على كل لمحة وطرفة، وذلك لعامة الناس أما هو سيحاسب بأشد من ذلك لأنه علم الحق وشاهده عيانا، وخطورة هذه المشاهدة تكمن في أنه يصير مسؤولا عن كل نَفَسٍ يصعد فيه ويَنْزِل، وعن كل طرفة تطرفها عينه؛ فغفلته في طرفة واحدة قد تؤدي إلى حرمانه وإعادته إلى الباب وربما أكثر من ذلك..

لهذا لا يعطى هذا الصنف من المشاهدة للمريد حتى تكتمل تربيته ظاهرًا فيصير لا يخالف الشرع ولا السُّنَّة قَيْدَ أنملة، ويثبت ظاهره على الصراط المستقيم ـ حتى لو بقي في باطنه شيء من النفس أو شيء من المقامات العليا لم

تكمل تربيتها بعد ـ، و لكن يعطى له هذا الصنف من المشاهدة عند اكتمال تربية ظاهره لتُعِينَه على تربية باطنه.

كما أن النفس لا تكمل ولا تتطهر ولا تتزكى إلا من خلال هذا الصنف من المشاهدات، لأن طبيعة النفس التمني والتشهي؛ فكل شيء من خماسية الإنسان خلق من طبيعة معينة، **فالعقل معدنه الوهم، والقلب معدنه المحبة، والروح** فوق كل هذه المعادن **ومعدنها نفخة الله وسره** عز وجل، فإن تحققت بهذا السر فاضت على باطن المريد وعلى نفسه، فَتَصْبِغ باطنه وتُغَيِّر معدن نفسه من معدن شهوة و رغبة وتمني إلى معدن حق ومشاهدة، فتذوب النفس في أنوار الروح لتصير غِشَاءً شفافا يعكس أنوار الروح، فتبدأ النفس بدورها في المشاهدة مما يساعد في إكمال تربيتها، وهذا هو الهدف الأول من مشاهدة الإيقان.

ـ أهداف هذه المشاهدة أربعة وهي:

1/ تحقيق المريد باكتمال اليقين.

2/ تثبيت عقيدته عيانا.

3/إكمال تربية نفسه لتتأهل لاستيعاب أنوار الروح، حيث تَفِيضُ عليها فَتَمْحِي معدنها في معدن سر الله.

4/ تكليف المريد حيث يصير مكلفا تكليف الروح، كما كُلِّف تكليف الجسد من قبل، فالروح لها تكليف عندما تبلغ سن الرشد، وسن الرشد بلوغ الروح إلى مشاهدة الإيقان.

وحتى هذه الدرجة من المشاهدات تجد المريد مرتبطا بالعوالم فقط، وأغلبها عوالم برزخية، حيث إنه مرتبط بشيخه ويسافر بإذنه في هذه المقامات الروحية ولكنه لم ينتقل إلى السفر فيه بعد، لأن السفر في الشيخ هو كمال للمريد وهو ما يوصله إلى أعلى درجات المشاهدة، وهي مشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشاهدة تجلي الله عز وجل لكن لا بد للمريد أن يسافر في العوالم مع شيخه قبل أن يسافر إلى رسول الله في شيخه، هذا والحمد لله رب العالمين.

4/ المحور الرابع:

مقام مشاهدة الإرشاد:

المقام الرابع من مقامات المشاهدة وهي مشاهدة الإرشاد، وغاليا ما تأتي بعد مشاهدة اليقين، بهدف إرشاد المريد إلى إكمال سيره وحثه على ما يرضي الله عز وجل بِتَنَزُّل الخطاب من ربه على شيخه عليه، فيصير مُتَيَقِّنًا مما عليه القيام به عارفا لطريقه ومسلكه، ولا يَبْقَ له بعد هذه المشاهدة أي غموض، وهذا ما يسمى **بالوصول الأول**، وهو وقوف المريد على حق اليقين، وإرشاد الله له مباشرة عن طريق شيخه في الباطن، فيزول الغموض والشك والريب من طريقه ويصير سالكا على بصيرة من ربه، مَرْشُودًا راشدا بالله عز وجل وبنبيه صلى الله عليه وسلم يتلقى الأمر مباشرة من ربه، وهذا اكتمال لليقين السابق، لأنه يقين في عوالم الله، وهذا يقين في نفس المريد. فتدخل المشاهدة هنا في صنفها النوراني، الذي يبتدئ من مقام مشاهدة الإرشاد، وهي التي تربط بالله عز وجل..

ـ أصناف المشاهدات:

1/ المشاهدة النورانية:

وهي كل مشاهدة تربط بالله عز وجل، وبِنَبِيِّه صلى الله عليه وسلم، وبأوليائه الصالحين، هي مشاهدة نورانية إذ لا انفصال على الله في هذه المشاهدات، وبما أنه لا انفصال عليه أي لا توجه غيره، وهنا اكتمال مقام الإخلاص، ولا يدخل المريد في هذا الصنف من المشاهدات حتى يكتمل إخلاصه وتواضعه.

2/ **المشاهدة الظلمانية:** وتنقسم بدورها إلى نوعين:

أ/ المشاهدة الكشفية: وهي مشاهدة ترتبط بكل العوالم، ويكون مع تلك العوالم ارتباط بالله، وما يميزها هو احتواءها لتوجهين:

- **توجه للمشاهدة**، التي تكون مرتبطة بذاتها أو بأحد من المخلوقات.

- **وتوجه لله عز وجل**، وهو سير المريد في طريقه.

ومثال هذا النوع مشاهدة الإيقان التي مرت بنا في المقامات السابقة.

ب/ المشاهدة الشيطانية: هي مشاهدة ترتبط بكل العوالم ولا يكون معها ارتباط بالله. أي يكون فيها توجه واحد وهو توجه للمشاهدة في ذاتها. ومثال هذا النوع **مشاهدة الاختبار** التي تحدثنا عنها من قبل.

أما مشاهدة الإرشاد تكون نقطة تحول المريد من المشاهدات الظلمانية إلى المشاهدات النورانية، وتكون وسطهما أي بين الظلمانية والنورانية.

ولمقام الإرشاد جملة من العلامات، من أهمها:

ـ من علامات هذا المقام من المشاهدة:

أولا: معرفة المريد نفسه معرفة كاملة:

حيث تكون نفسه قد وصلت لدرجة كبيرة من الطهارة، واكتملت أغلب مقاماتها، ولكن لازال فيها من الريب ما تجد المريد محيط به، وهنا يصل إلى قمة التواضع.

ثانيا: اكتمال مقام التواضع والإخلاص في نفس المريد:

لا تتحقق هذه المشاهدة قبل اكتمال هذين المقامين فتجده لا يرى نفسه إلا أذل وأحقر خلق الله؛ لا يرى أحدا أقل منه، وتجد مقصوده هو الله عز وجل لا يحول بينه وبين ربه ولو حتى ذرة خردل من تعلق بالآخر.

ثالثا: تضمنها إرشاد المريد نفسه و إرشاده باقي الخلق:

فهذه المشاهدة لا تختص فقط بإرشاد المريد لذاته، وإنما تختص أيضا بإرشاد الخلق بشكل عام، حيث إنه يتنزل إليه من شيخه أمر إرشاده، وأمر إرشاد بقية المريدين أو بقية الخلق؛ وهذا لا يعني أنه صار بمنزلة شيخه فهو فقط تنزل من شيخه عليه، ويكون اختبارا للمريد كذلك، وهنا يختبر في إخلاصه وتواضعه ـ اللذان اكتملا في نفسه ـ ولكن إذا اكتملت تربية للمريد في شيء لا بد أن يختبر فيه، وفي الغالب لا يختبر قبل ذلك.

فإن نجح في هذا الاختبار يترقى المريد إلى المقام الموالي من مقامات المشاهدة، وإذا لم ينجح فإنه يطرد من الطريق نهائيا، وتنزل الإرشاد عليه يكون رحمة به

لِيَعْلَم أمره، ورحمة بباقي المريدين ليُوصِل إليهم ما يَنْفَعُهُم، لأن الشيخ ولو عَلِمَ بذلك فإنه لا يُخْبِر لأن مُهِمَّتَه الإرشاد وليس الإخبار والمكاشفة.

ولكن إذا تأهل المريد ووصل إلى هذا المقام أهديت له مهمة الإخبار والمكاشفة ـ هدية من الله عز وجل ـ فيُكَاشِف المريدين المبتدئين من أجل ترسيخ يقينهم، وأحيانا يُخْبِرهم بأمورهم وبما يحتاجون إليه رحمة بهم، فإن **أَخَلَّ ذلك بتواضعه** حينئذ **ينقطع انقطاعا كليا عن السير إلى الله تعالى**،أما إن **أخل بإخلاصه** وصار مقصوده التقدم والظهور **فإنه يطرد من رحمة الله** والعياذ بالله، فالله قد أهداه هدية منه ليقربه إليه، فإن عمل بتلك الهدية على إبعاد نفسه أبعده الله عز وجل.

لذلك على المريد أن يحذر من هذه الاختبارات، وأغلب اختباراته تكون مربوطة بالمشاهدة، لذا عليه أن لا يَأْمَنَهَا حتى يُؤَمِّنَه الله عز وجل منها بالنظر إلى تجليات وجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

5/ المحور الخامس:

مقام مشاهدة التحقيق (حق اليقين):

أما المقام الخامس من مقامات المشاهدة وهي مشاهدة التحقيق أو ما يسمى بمشاهدة حق اليقين، حيث إن المريد يعيش في هذه المشاهدة بكليته بذاته، وروحه ومشاعره وارتباطاته، وعقله وقلبه، وهذه ما تسمى بالمشاهدة الحق، وهي فضل من الله عز وجل عليه، فهي أول مشاهدة تكون للمريد فضلا ونعمة وليس اختبارا ونقمة لأنه يكون قد سلم من أهواء نفسه، وتلاعباتها به، فقد سَلِمَ من الكبر والرياء، والحسد والحقد، وسلم من كفر النعمة ومن التعلق، ومن محبة غير الله عز وجل، وقد تصير نفسه في هذه المشاهدة إلى درجة الكمال فهي مشاهدة فضل تجد المريد فيها يتنعم بفضائل الله ونسائم قربه، فهذه مشاهدة نورانية حَقَّة، ولكنها قد تتحول إلى مشاهدة ظلمانية رغم ندرة حدوث هذا الأمر، لأن المريد يكون في مشاهدة حقيقية ولكنه لم يُؤْتَ مفاتيح التفسير بعد، ومفاتيح الإذن المحمدي مازالت عند شيخه ولهذا فإنه لم يَأْمَن بعد، و لا يأمن حتى يُؤْتَى تلك المفاتيح حتى يتحقق بذلك باطنيا و الإذن ظاهريا، ولا يحصل له هذا حتى يترقى إلى المستوى الموالي من المشاهدة وهي المقام السادس:" المشاهدة المحمدية" فيتحقق يقينا بحضرة سيدنا محمد فحينئذ يؤتى المفاتيح ولا يمكن أن يضل بعد ذلك.

لكن في هذا الصنف من المشاهدة قد توجد احتمالية زيغ المريد عن الطريق المستقيم رغم أنها مشاهدة نورانية إلا أنها غير كاملة بعد؛ فلا تَكْمُل ولا تَتَزَيَّن ولا

تَتَثَبَّتُ إلا بعد مشاهدته واجتماعه مع سيد الوجود عليه الصلاة والسلام، فيرتقي بالنظر إلى وجهه الكريم إلى المشاهدة المحمدية.

ـ وهذه المشاهدة لها أربعة مقاصد كبرى:

- **أولها وأهمها: هو تأهيل المريد للاجتماع بحضرة المصطفى** عليه الصلاة والسلام، وذلك بإكمال نفسه وتطهير عقله وتنوير روحه. لأنه في هذه المشاهدة تجده غير مُؤَهَّل للنظر إلى ذاته الشريفة بعد، وتجد تجليا واحدًا لبعض أنواره صلى الله عليه وسلم يَحْرِقُ المريد ويُدْخِله في حال من أحوال الصراخ أو البكاء، فكيف إن تجلت عليه ذاته كاملة؟، ولكن تتجلى تدريجيا أنواره صلى الله عليه وسلم: ففي كل نور تَجَلَّى عليه تترقى روحانية المريد إلى مشاهدة ذاته عليه السلام.
- **المقصد الثاني، هو إكمال شوق المريد إلى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم**، ـ لأن الشوق درجات وهذا مقال آخر إن تحدثنا فيه سيطول الحديث ــ، ولكن سنتحدث عن المقام الأخير من الشوق وهو الذي يكتمل في هذا المقام الأخير من المشاهدة حيث تجد المريد من شدة شوقه لا يغيب فكره عن رسول الله لمحة واحدة يقظة ومناما، والشوق مصاحب له و لكنه يزيد وينقص: فإن وضع اللقمة في فمه ووردت عليه نسائم من رسول الله وقفت اللقمة في حلقه فلا هي تدخل ولا هي تخرج، وتَخَشَّب جسده، وبَرَدَ برودة شديدة وتفصد بالعرق، ويظل حال المريد هكذا والشوق يزيد يوما بعد يوم، حتى يكتمل بأن لا يرى غير أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة

يومه ولا يتفكر إلا فيه ولا يشعر إلا بتجليات أنواره، فإن اكتمل شوق المريد وتأهلت روحه بتجليات الأنوار حَقَّق المَقْصِدَيْن الأوليين من مقاصد مشاهدة التحقيق.

- **أما المقصد الثالث، فهو ربط المريد بعالم الغيب حقيقة ربط اتصال لا انفصال بعده**، إن لم يزغ في سيره، ليتحقق بحقيقة الحياة، وحقيقتها أن يعيش العبد في عالمين في زمان واحد، فإن عاش في عالم واحد فحياته غير مكتملة بعد، وناقصة نقصانا شديدا، ولا نقول أنه دخل لمستوى الحياة لكنه لازال يعيش في ظلمات الوهم، فهو كالأنعام أو هو أضل منهم.
- **والمقصد الرابع، هو إكمال تربية المريد والختم على سيره بالوصول**. والتربية لابد أن تَصْحَبَهَا المشاهدات واليقين لتكون تربية كاملة وإلا تكون تربية ظاهرية فقط، و التربية الظاهرية لا تحتاج إلى مرشد، ولكن الهدف من صحبة المرشد هو تربية المريد ظاهرا وباطنا، فظاهرا هي الشريعة والسنة، وباطنا هي مشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه المشاهدة تؤهل المريد للاجتماع به صلى الله عليه وسلم، وتُؤَهِّلُه لتلقي أنواره والغوص في أسراره عليه الصلاة والسلام.

والمريد إن دخل هذه المشاهدة فإنه لا يعلم بذلك، ولكن من يعلم بذلك هو شيخه، ولا يعلم بذلك المريد حتى يترقى إلى مستوى مشاهدة ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم أنه كان في مقام مشاهدة الإرشاد قبل ذلك، وأنه قد ترقى

في درجات المشاهدة دون أن يعلم، ولو علم بذلك لقل حرصه وقل حذره، وأمن من مكر الله تعالى، "أفأمنوا مكر الله،فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"[1].

فلا يجب على المريد أن يعلم أنه دخل في مشاهدات الفضل و انقطعت عنه مشاهدات الاختبار والنقمة، وإلا سوف يَأْمَن وتبرد همته، وهذا لا يليق بمن وصل إلى درجات عالية من القرب، بل يجب أن يبقى متوجها إلى الله لا إلى المشاهدة، متوجها إلى المتفضل غير متوجه إلى الفضل، متوجها إلى المعطي غير متوجه إلى العطاء، حتى ينتقل من العطاء و الفضل إلى المعطي والمتفضل، والانتقال لا يكون إلا عن طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

[1] ـ سورة الأعراف، الآية: 99

6/ المحور السادس:

مقام المشاهدة المحمدية:

المقام السادس من مقامات المشاهدة وهو مقام **المشاهدة المحمدية**، وهنا يدخل المريد إلى **المشاهدة المقصودة**، وكل ما قبل ذلك لم يكن إلا مشاهدة من أجل اليقين. وأحيانا قد يصل إليها المريد مباشرة من الحجاب إلى مقام المشاهدة المحمدية وهي المشاهدة المقصودة،ـ لكن هذا ناذر جدا ـ، فأغلب المريدين يمرون من هذه السلسلة من المشاهدات مقامًا مقامًا، إلا إن شُوهِد أنهم سينحرفون بالمشاهدة وأنها لا تصلح لهم حُجِبُوا وأكملوا سيرهم حتى يصلوا إلى هذا المقام مباشرة.

وهذا المقام لا يعلمه إلا المشايخ لأن المريد قد يَخْلط ما بين باقي المشاهدات وهذه المشاهدة المحمدية، لأن باقي المشاهدات يكون فيها أيضا تجلي محمدي، ولكن ليست مشاهدة محمدية كاملة بعد، فلا تكمل هذه المشاهدة حتى يجتاز المريد سبعين ألف حجاب على أقل تقدير، وكل صنف من المشاهدة يحتوي على آلاف الحجب التي يجتازها المريد؛ فمع كل حجاب تزيد مشاهدة رسول الله وضوحا.

ومشاهدته سبع مستويات كبرى:

المستوى الأول: مشاهدة الحضرة الصورية:

وهي مشاهدة نوره صلى الله عليه وسلم، وتعتبر من أدنى مستويات مشاهدته صلى الله عليه وسلم التي يصلها المريد في مراحله الأولى في السير.

المستوى الثاني: مشاهدة الحضرة القلبية:

حيث يكون المريد قد وصل إلى درجة عالية من الشوق والمحبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الحضرة هي حضرة محبة تجمع المريد برسول الله صلى الله عليه وسلم، و أصل هذه المحبة منه صلى الله عليه وسلم من أجل تطهير المريد وتقوية باطنه وارتباطه به صلى الله عليه وسلم، ليترقى المريد إلى مستويات أخرى من مشاهدته صلى الله عليه وسلم، وفي هذا المستوى يكون عليه الصلاة والسلام حاضرا بحجاب من الجمال المصحوب بالمحبة التي تفيض منه على المريد.

المستوى الثالث: مشاهدة الحضرة الروحية:

حيث يصل المريد إلى المشاهدة بروحه حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومشاهدة الروح لا تعكس تجلي ذاته عليه السلام، وإنما تعكس وجوده الحق بحجاب من الهيبة والجمال وبأنوار روحِه تَلُفُّ جسده الشريف، فلا تصل مشاهدة المريد إلى ذاته لأن روحه تكون مُنْعَكِسَة على تجلي أنوار روحه صلى الله عليه وسلم.

المستوى الرابع: مشاهدة الحضرة الذاتية:

عندها يصل المريد إلى مشاهدة ذاته كما خلقها الله تعالى، فتلك حضرة ذاتية.

المستوى الخامس: مشاهدة الحضرة الحقيقية:

حيث يتجلى صلى الله عليه وسلم على المريد بذاته وحقيقته المتصلة بالله عز وجل، أي سِرَّ خَلْقِه، وسِرُّ خَلْقِه المحبة، وهذا أعلى درجة من تجلي الذات لوحدها.

المستوى السادس: مشاهدة الحضرة المحبوبية:

وهذه لا يصلها إلا المقربين ممن اختارهم الله تعالى، وهذه حضرة لا التفات بعدها، ولا ضياع بعدها، وإنما تضمن الوصول للمريد لأنها حضرة تتجلى فيها محبة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يبصم على المريد بالفناء فيدخل في ذلك النور، ليشهد تجليات الحق على ذات سيدنا محمد وروحه عليه الصلاة والسلام.

المستوى السابع: مشاهدة تجليات الله تعالى المُتَنَزِّلَة:

حيث يغيب المريد في مشاهدة تجليات الله تعالى المتنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأعين سيدنا محمد، وهذا ما يجعله فَان عن ذات سيدنا محمد في تجلي الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا أعلى مقام من مقامات مشاهدته صلى الله عليه وسلم، الذي لا يطيقه إلا العارفون، ولا يصله إلا ثلاثة في الزمان فهو مقام مخصوص يجمع الوجود كاملا بين حضرة الله وحضرة نبيه صلى الله عليه وسلم، والمقصود من مشاهدة سيدنا محمد هو معرفة هذا السر المُتَنَزِّل من الله عليه والذي ما إن وصل المريد إلى هذا المستوى يعلم ذات السر وظاهره المتجلي فقط. أما باطنه فهو خصوصية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يعلمها غيره، وهذا كمال

مشاهدته، ولا تكمل مشاهدته صلى الله عليه وسلم إلا عند كمال اتصال المريد بمشاهدة الله تعالى له عليه السلام، ومشاهدته سره وتجليه و محبته العظمى التي فاضت على الكون فكانت محمدا.

حتى إذا وصل المريد لهذا المقام من مقامات المشاهدة يكون قد تأهل للانتقال إلى المقام الذي بعده، والحمد لله رب العالمين.

7/ المحور السابع:

مقام المشاهدة الإلهية:

يأتي مقام المشاهدة الإلهية بعد المشاهدة المحمدية التي هي باب هذه المشاهدة ومفتاحها. والباب والمفتاح هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه **المشاهدة تتجلى في صنفين:** مشاهدة تجلي وهي مشاهدة ناقصة في حقه عز وجل، وإنما تعكس بعض مظاهره، ومشاهدة اللَّا مشاهدة وهي الأكمل.

الصنف الأول: مشاهدة التجلي:

فأما مشاهدة التَّجَلِي فيصلها المريد بعد فناءه في الحجاب الأعظم، وهذا الحجاب هو آخر مستوى من مستويات مشاهدته صلى الله عليه وسلم، فإذا وصله تَجَلَّت عليه أنوار من ذات الله تعالى فيصير موصولا بربه بالمشاهدة والخطاب، يرى منه ما شاء الله أن يُرِيَه، وهذا التجلي لا يطيقه أحد من الخلق، لهذا لا يكون إلا بعد فناء المريد فناء كاملا تاما. وفي كل مستوى من مستويات المشاهدة يزيد فناءه، حتى إذا وصل إلى الحضرة المحمدية المحبوبية فنا فناء كاملا فلم يعد له وجود، فإذا شاهد تجليات الله عز وجل شاهدها به، أي يُشاهد نفسه من نفسه، أما إن تجلت ذرة واحدة من هذه التجليات على العالمين وهم بأنفسهم لأهلكتهم وأحرقتهم، فهذه التجليات لا يُنْظَر إليها إلا بمنظار سيدنا محمد، ومنظار سيدنا محمد هو منظار الله تعالى أي النظر إليها منها و بها، وتلك خصوصية يَصِلُها العارفون ويَذُوقُها الذائقون، ولا يَصِفُها الواصفون.

فهذه المشاهدة فضل محض من الله تعالى على من شاء من عباده، ولكن لا بد أن يتأهل العبد بتوفيق من الله تعالى في كل هذه المستويات من مقامات المشاهدة، ومن مجاهدة للنفس ودحضها حتى يصل المريد إلى هذا المقام، وهذا مقام الوصول، ومشاهدته الآن مشاهدة ثابتة لا تفنى لأنها من نظر الله إلى ذاته، ونظره عز وجل باق لا فناء له، واتصال المريد بذلك النظر باق ببقاء الله عز وجل لأنه لم يَعُد مريدا وإنما فنا وجوده عن وجوده، فلا وجود له أصلا؛ فكأنه لازال في العدم، وكأنه لن يخرج من العدم أبدا، والعدم التجلي الواحد الكامل لذات الله، وذلك يعيشه العبد فيكون حَيًّا في عالم العدم، أي حيا بلا حياة، فلا حياة في عالم العدم إلا حياة الله تعالى، ولا يُؤْذَن لأي حياة أن تَحْيَى في عالم العدم إلا حياته عز وجل.

وعالم العدم ليس عالما منفصلا كباقي العوالم، بل هو عالم كان بلا بداية وباق بلا نهاية، فهو لا زال إلى يومنا هذا كما كان، والخلق لا يزيد فيه ولا ينقص شيئا، وهذه حقيقة مطلقة لا يعرفها إلا من وصل إلى هذا التجلي من تجليات الله عز وجل لأن الله واحد حي لوحده بحياته، ولا يمكن أن نقول أن حياة المخلوق تزيد شيئا مع حياته، لهذا فعالم العدم مستمر والعوالم الأخرى ليست خارجة عن عالم العدم، وإنما معدومة في عالم العدم إذ لا وجود لها مع الله تعالى فهذا أعلى ما يطيق العبد معرفته.

الصنف الثاني: مشاهدة اللَّا مشاهدة:

و تكون فيها المشاهدة ليست بمشاهدة ولا بحجاب، ولا باتصال ولا بانفصال، لأن ذلك الحق لا يحتاج إلى المشاهدة. فالأمر إن كان ظاهرا فالمشاهدة نقص في كماله، وهذا معنى عميق لا يُطِيقُه إلا العارفون، وقد نشبه ذلك تشبيها بسيطا: كأن تكون في حضرة ملك وأنت جالس معه، فتقول له: أنا أراك الآن.. فأين كان من قَبْلُ لتراه الآن؟ وهل هو مستور لِتَنْظُر إليه؟ فذلك نقص حتى في البشر، فكيف بأن لا يكون نقصا في كمال الله عز وجل، فالآن ـ في هذه المشاهدةـ الحق ظاهر، ومشاهدته لا تحتاج إلا مشاهدة لأن عالم العدم لا حياة فيه ولا مشاهدة فيه، لأن المشاهدة مخلوقة والسمع مخلوق من تَجَلٍّ لصفات الكمال في الله لتكون في الخلق نقص بكماله، فإذا وصل العبد إلى مقام الكمال بالله تعالى انتفت عنه هذه النقائص.

وصفات الله عز وجل ليست كما يفهمها الخلق، فمثلا: صفة البصر لا تعني أن الله يشاهد عبده أو ينظر إليه، وإنما ذلك قد يكون للعبد أن الله يشاهدك فاحذر من معصيته، أما صفته في عِزِّ كمالها لا تحتاج إلا المشاهدة، لأن المشاهدة مقرونة بالزمان والمكان والجهة والكيفية و الأداة والعضو المخلوق.. وهذا ما تَنَزَّه عنه الله سبحانه، وتنزه عنه كل من دخل في كماله وحيا بحياة **هو**، ففنا عن وجوده فذلك حي بحياة الله في عالم العدم.

وهذا هو ما يُقْصَد به حقيقة الوصول إلى الله تعالى، والوصول إلى الله ليس ذهابا أو مشيا أو انتقالا من مكان ليصل إلى مكان، وإنما مُرَادِف وصول العبد إلى الله فناء العبد وبقاء مولاه، و الفناء يفنا عن الكلام فيبقى بقاء الله، وبقاء الله لا

يحتاج إلى دليل والمشاهدة قد تعتبر دليلا على ذلك، فمثلا: إن كان يجلس معك إنسان فأنت لا تتأكد من وجوده معك حتى تنظر إليه، أما إن كنت أعمى فأنت لا تثبت وجوده ولا تنفي وجوده، أما وجود الله فمَثْبُوتٌ، و قد تَنَزَّه عن هذا.

فهذا ما تطيقه عقول الخلق من كلام، والباقي يصل إليه المريد فيعرفه ليصير عارفا فلا يحتاج بعد ذلك إلى الكلام، والحمد لله رب العالمين.

الجزء الثالث

أحوال المريدين مع الكشف

المحور الأول:

حالة بعض المريدين الذين يكشف لهم في بداية الطريق أوربما قبلها

هذا الصنف من المريدين يفتح لهم باب الكشف في أول وهلة يلتقون فيها بالشيخ، ويكون هذا الكشف ثابتا وليس هدية فقط، وعلامة ثباته أنه يبقى في تطور شهر بعد شهر، وسنة بعد سنة، كلما ازدادت درجة تزكيتهم كلما زاد الكشف اتضاحا

هذا الصنف من المريدين يكون سلوكهم سلسا، وعوائقهم أكبر وأكثر من الذين لا يكشف لهم لأن الكشف يُحَمِّل المريدين مسؤولية في بداية الطريق قد تكون فوق طاقته ولا يستطيع أن يتحملها وذلك ما يعرقل سيره أكثر، ولكن إذا أحسن المريد استعمال الكشف فيما يرسخه على طريق الله عز وجل فإن عوائقه تُجْتاز وطريقه تسهل،

هذا الصنف من المريدين تكون لهم حمية في البحث عن الطريق الصحيح وحرقة في طلب الله عز وجل، ومحبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولأوليائه وللصالحين، ويكون قلبه متعطشا متلهفا للارتواء من نبع متصل ماؤه ببحر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما تجده قبل بلوغه إلى النهج المستقيم قد مر بعدة مشارب بعضها مزيف، وبعضها صافي، وبعضها ماء راكد منقطع عن أصله المحمدي، فيدفعه هذا إلى فقدان بعض من الثقة في وجود السبيل الصحيح لكن الله تعالى بمحبته

له، وبالإصرار الذي زرعه في قلبه يهديه إلى هذا الطريق بأمر الكشف في بدايته، فتلك هدية من الله عز وجل، وتأييد منه ونصرة لعبده، فكلما كان المريد أمضى سنين طويلة في البحث عن الله عز وجل وعن سبيله، ولم يجد طريقا توصله إليه كلما كان يفتح عليه في بداية الطريق الصحيحة التي يجدها متصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك مجازاة من الله عز وجل له على إصراره في الطلب، وذلك هدية من الله عز وجل إليه ليبين له الحق من الباطل.

ورغم هذا الكشف الحاصل له يجب أن لا يغتر نهائيا ولا أن يظن أن له يدا أو دورا فيما يحصل له من المكاشفة، فهذا هو الخطأ الكبير الذي يقع فيه المريد إذا كُشِف في أول وهلة لأنه يكون بعد غير عارف بأصول الطريق، غير مدرك لمسالك الفناء التي تبث المشاهدة قلبا عن قلب، صدرا عن صدر إلى أن توصل المريد إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتصلة بالحضرة العلية. لذلك إذا أكرم المريد بالمشاهدة والكشف في أول الطريق عليه أن يكون أكثر تواضعا، وأكثر شكرا وحمدا لله عز وجل أن يسر له وهداه إلى سبيله المستقيم، وبين له الحق من الباطل ، وثبته ببرهان منه لا أن يكون أكثر كبر وغرور وتميز عن غيره من المريدين.

كما أن حال الكشف الذي يعطى للمريد في بدايته لا يكون حقيقيا مَبْصُوما ومختوما بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن يكون مجرد فيض من شيخه عليه، قد يُلَوَّث هذا الفيض حين يصل إليه بوساوس عقله الذي لم يُزَكَّى، وبمعاصي قلبه الذي لم يتطهر، وبنزوات نفسه وهواجسها التي لم تُزكى ولم تقهر لذلك إذا كوشف المريد في أول الطريق

فليبادر ثم ليبادر وليسرع إلى منهج التزكية، وليتمسك به بجدية وإخلاص حتى يتمكن من النجاة من أخطار الكشف الذي يحصل للمريد في بدايته، فالكشف كلما تقدم كلما كان خطره أكبر على المريد، ولكنه لا يطرد من الحضرة ولا يُخرج من الرحمة، ولكنه فقط يَحْجُب المريد ويَسْلُبُه ويمنع عنه ذلك الفيض حتى يتأدب أكثر، ويتطهر ويخلص نيته ويُعْلِي همته.

كما أن مكاشفة المريد في بداية الطريق لا تحصل إلا لعدد قليل من المريدين أولئك الذين عطشت قلوبهم وتلهفت لهذه الرحمة الإلهية، وهذه ليست قاعدة في الكشف أن يُمنح لكل المريدين في بدايتهم، وإنما هو استثناء. وليس قاعدة في الكشف أن يُمنح كذلك للمريدين في نهايتهم وإنما استثناء ، فالقاعدة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أن يُمنح الكشف للمريد في وسط سيره، ووسط السير هو مقام الإيمان، ودليل ذلك هو أن بعض الصحابة لما كان يُكشف عنهم كانوا يبلغون رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أصبحوا مؤمنين، فيسألهم كيف ذلك، فيحكون له بعض التجليات والمشاهدات التي حصلت لهم

ومقام الإيمان هو وسط الطريق، ومقام الإحسان هو نهايته، فإذا كُوشِف المريد في مقام الإسلام أي في بداية الطريق فليبق متمسكا بشيخه، ولا يستحلي ما يحصل له من تجليات وخوارق لأنه نفسه لم تخل بعد من الهوى، والأخطر من هذا أنه لم يدرك بأن نفسه ما زالت مظلمة مدسسة ، فقط يأتيه في الكشف شيطان أبيض يسمه بالصلاح والولاية، ويبين له أن قد أُكرِم من طرف الله عز وجل بسبب صفاء نيته، وسلامة خاطره، وقربه من الله تعالى، فإذا اغتر المريد بهذا وصدَّقه وهو غير مدرك بعد لأمراض

نفسه، فإنه يهلك ويُكسر في الطريق، كما أن الشيخ العارف يخاف على المريد الذي يكشَف في أول الطريق أكثر مما يخاف على غيره من المريدين الذين لم يكشفوا بعد أو الذين كوشفوا في وسط الطريق، وإذا أراد المريد أن يسلم من مصاعب الكشف في بدايته فليبادر إلى منهج التزكية وليتمسك بأوامر شيخه وليغرس نفسه في أرض العبودية والتواضع والتذلل لله عز وجل ولخلقه، ولا يظن أبدا أنه خير من غيره حتى إذا أدرك نفسه على حقيقتها وعلم أمراضها، وبدأ يُعَالج من تلك الأمراض فهو حينئذ يدخل وسط الطريق ولا يُخْشَ عليه بعدئذ خشية كبيرة من أن يطغى بكشفه أو أن يظن أنه خير من غيره، ولكن لازالت أمامه الكثير من العوائق التي قد تعيق سيره في وسط الطريق، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور الثاني:

المريد المتذبذب بين الكشف والحجاب

فيبقى المريد متذبذبا بين الكشف والحجاب، فلا هو مكشوف دوما ولا هو محجوب، هذا حال يمر بصنف من المريدين أولئك الذين تكون همتهم ضعيفة وإيمانهم ناقصا، فيرتفع إذا جالسوا الشيخ وقاموا بالذكر واختلوا بربهم، فإذا انفضوا إلى شؤونهم واتجهوا إلى أشغالهم ضعفت هممهم ونقص إيمانهم.

وكذلك الذين لم يؤذن لهم بعد في مقام المشاهدة، ولكن يعطى لهم الإذن فترة من الزمن للقيام بمهمة ربانية أسندت لهم ثم يسحب منهم الإذن بعد ذلك، فيعود إليهم الحجاب وينقطع عنهم الكشف، وقد يكون سبب هذا ضعف الطاقة الروحية للمريد التي تشتعل لفترة محددة ثم تضعف وتنطفئ أو لسبب معاكس وهو أن الطاقة الروحية للمريد لا تواكب طينيته وجسده ولا تواكب سنه وعقله فيُخاف عليه من الجذب، أو يُخاف عليه من اختلال التوازن الحاصل بين فكره وروحانيته خوفا عليه من تلف عقله ومنطقه فيُشَف له فترة ثم يُحجب فترة أخرى، وفي ذلك العديد من الحكم التي يسير الله بها عز وجل المريدين، ويسَلكهم طريقه، وهذا الصنف من المريدين غالبا ما تجد لديهم تعطشا للكشف، وتعطشا للمشاهدة، فتحجب عليهم تارة، وتُعطى لهم تارة أخرى ليُدرِكوا أنها غير دائمة ، وأن الدائم هو الله وذلك قصد تصحيح مقصودهم، وإخلاص نياتهم في الطريق،

وإزالة هذا التعطش منهم، وربطه بالله عز وجل وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أن هذا الصنف من المريدين غالبا ما تجد لديهم عوائق نفسية كبيرة، لا يستطيعون اجتيازها لفترات طويلة، حيث تجد أن صفاتهم الظلمانية متجددة، تسكن فترة، وتهيج فترة أخرى، ومنها : صفة الكبر، وصفات العناد والتمرد، وصفة الشهوة، هذا ما يؤدي إلى انطماس عين البصيرة إذا ما هاجت ظلمانية هذه الصفات، وإلى انفتاحها إذا سكنت ظلمانية هذه الصفات، فتبقى نفس المريد متذبذبة تارة يغلبها وتارة تغلبه. صحيح أن الكشف لا يصلُح له في هذه المرحلة بالذات من الطريق، ولكن يُؤتى له ليستعين به على عوائق نفسه وعوارضها، وليستعين به على قهرها وتزكيتها، وهذا التذبذب الحاصل ليس شرا إذا كان لا يؤدي إلى تذبذب السير إلى الله عز وجل، ولكن إذا كان تذبذب الكشف يؤدي إلى التوقف في الطريق لبعض الفترات، فإنه يكون خطيرا، ويجب على المريد أن يجدد همته ويرفها ويحافظ عليها ويُقِيم سيره فإذا أقامه وثبت عليه رجع الكشف إلى سيرته الربانية، وإذا لم يفعل ذلك بقي متذبذبا إذا كُشِف له شعر بالقرب والاتصال والهمة العالية، وإذا حُجِب شعر بالضعف والانكسار ، والشهوات تسيطر عليه، والملذات الدنيوية تجذبها نفسه إليه.

وهذا التعثر الحاصل في الكشف قد يؤدي إلى تعثر المريد في سيره أو توقفه، وإذا دام الأمر مدة طويلة قد يؤدي إلى رجوعه من الطريق وإنكاره عليها.

وهناك صنف من المريدين لا يؤثر هذا الانقطاع الحاصل في الكشف على سيرهم وإيمانهم فذلك خير، وفيه حكمة إلهية تصفي نية السالك وتجعل مقصوده هو الله، وكذلك تبين له الدائم من الفاني، وتمنحه عزيمة وإرادة أقوى.

كما أن انغلاق باب الكشف لفترة من الفترات لا تعني توقف المريد في سلوكه، ولكن لذلك معاني أخرى يعرفها الشيخ وعليه توجيه المريد إذا كان في ذلك شر يوجهه ليجتاز ذلك الشر، وإذا كان في ذلك الأمر خير يحثه على الصبر والثبات والاحتساب،

كما أن لروح المريد وطاقتها النورانية تأثير في هذه المسألة أيضا فبعض الأرواح التي تكون رقيقة شفافة تتأثر بالنور ، فإن الكشف لا يؤتى لها وإنما يُفتح لها نافذة من قلب الشيخ تبصر منها حينما يكون ذلك صالح لها، وتغلق تلك النافذة حينما يكون في الأمر ضرر لها، وإذا كان ارتباط المريد في الطريق بالله عز وجل ناقصا ومعيته قليلة، وغفلته كثيرة فإن الكشف عنده يأخذ هذا الشكل من الانقطاع والرجوع، لذا إذا كان المريد يعاني من هذه الحالة في الكشف، فقد وجب عليه رفع الهمة وإقامة السلوك، والتدرب على استحضار معية الله عز وجل، وإزالة الغفلة، وكذلك عليه أن يتوجه في مشاهداته إلى قلب شيخه لا أن يتوجه إليها مباشرة، ووجب عليه الإكثار من الذكر، فهذا الصنف من المريدين يصلح لهم الذكر لفترات طويلة تصل إلى ساعتين أو ثلاثة يوميا وعلى التوالي حتى تستقر حالة سلوكهم، وحالة كشفهم كذلك، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور الثالث:

المريد الذي يُكشف في وسط الطريق

هذه هي القاعدة الأساسية للكشف والتي تحصل لغالبية المريدين حيث إنهم يبدأون الطريق، وبصائرهم مغلفة محجوبة عن عالم الباطن فإذا تمسكوا بمنهج التزكية واجتهدوا في تطبيقه، وصانوا جوارحهم من المعاصي والذنوب وانتقلوا بعد ذلك إلى استحضار معية الله والقرب منه، ثم سرت إليهم محبة المشايخ ولذة الذكر، وجمال المناجاة ، وفناء الرأي انفتحت بصائرهم وزال عنها غطاء الظلام فأبصروا بذلك عالم الحس بداية فيعرفونه ويعرفون كل ما فيه، ثم ينفتحون على الاتصال بعوالم الغيب الأخرى، ولا يخاف عليهم خوفا كبيرا في هذا الباب، لأن قلوبهم قد تطهرت وتحصنت، وقلوبهم فنت عن التفكير في الخلق والنظر إليهم ووجودهم، وأرواحهم ارتوت بالمحبة وسقيت بالذكر وامتلأت بالأنوار، فهم حينئذ على بينة من أمرهم يعرفون الصحيح من الخطأ، وهنا لا نقصد أن المريد في هذه الحالة يأمن إلى كشفه، ولكن يأمن لسر المحبة والطاعة اللذان أوديعا في روحه فأصبحا يعلمانه الأدب، وحسن التعامل مع ما أنعم الله عليه من فضل وكشف واتصال، ومشاهدة، إلا أن هذا الأمن جزئي فقط، فلا زالت هناك مزالق في الطريق قد تسلك بالمريد مسالك السوء ، لذلك فإن الكشف في وسط الطريق يظل منحصرا على المعارف والعوالم والمظاهر، ولا يصل إلى الجوهر وإلى الحقائق والأسرار، ولا يدخل صاحبه إلى أعتاب الحضرة، ولا إلى المجالسة المحمدية، لذلك فالكشف لا زال غير

مأمون بعد ولكن بثبات المريد وارتوائه من أنوار الكشف الذي يحصل له، وحفظ سره وأمانته، والقيام على حمد الله وشكره يبلغ المريد وينضج ويكون قد اجتاز وسط الطريق، والكشف عنده يرتقي يوما بعد يوم، ساعة بعد ساعة، ثانية بعد أخرى

أما إذا ظل كشف المريد في وسط الطريق متوقفا في حد واحد لا يزيد ولا ينقص فحينئذ يخشى على المريد من أنه مستدرج بذلك الكشف، فالكشف الذي يدوم على حالته لمدة طويلة هو الذي يكون في أول الطريق، أما إذا حصل هذا في وسط الطريق فذلك يدل على خطر ما يحيط بسلامة المريد في سيره لأن طبيعة الكشف الذي يكاشف عليه المريد في وسط المسلك تكون غير منحصرة ولا متوقفة على مجال وأفق معين، ولكنها كل ثانية في ازدياد، في معارف تفوق سابقتها، كل ثانية في تجليات تفني عن التي قبلها، ويدوم المريد على هذا الحال من المشاهدة حتى يبلغ نهاية الطريق حينئذ تفنى عنده الثانية ويفنى الزمن فلا فرق بين ما كان عنده من كشف ومعرفة، وبين ما سيأتيه لأنهما جمع واحد خارج عن التأليفات الزمانية، فالمعرفة معرفة أزلية فاضت من صفة العليم على الخلائق، وهل لصفة العليم التي هي صفة من صفات الله أن تتجزأ وتتفرق وتنقسم على الزمن الذي هو عبد من عباد الله عز وجل؟ وهل هناك معرفة فوق المعرفة إذ لا درجات في الباطن الحقيقي والجوهر المحمدي الذي يصله المريد في نهاية رحلته وسيره إلى الله عز وجل، لذا فعلى الشيخ أن يراقب تطور المريد في كل ثانية إذا كوشف عليهم في وسط الطريق فإذا لاحظ ذلك التطور والانفتاح في مجال المشاهدة فالمريد على خير ما دامت نيته صادقة وقلبه يرعى ذمام

المحبة، أما إذا وجد أن الكشف منحصر لا يزيد ولا تتوسع معرفته، فالمريد حينئذ يكون بين حالتين: إما يكون مستدرجا للغواية حيث يظل متصلا بالعوالم حتى يتعلق بها باطنه وينزاح عن مقصوده، ويميل كل الميل إلى الدنيا فيقعد مذموما مدحورا، وإما يكون سيره متوقفا إلى الله عز وجل بفعل سوء أدب ارتكبه أو بفعل بعض العوائق أو الاختبارات التي فشل في اجتيازها حينئذ يجب عليه أن يستغفر الله ويجدد سيره إليه حتى يستقيم عنده أمر الكشف، فالكشف في بداية الطريق لا ارتباط له بالسير، وفي نهاية الطريق لا ارتباط له بها، أما في وسطها فإنه يحدد درجة تطور المريد أو تراجعه في الطريق، بل ويحدد حتى السرعة التي يسير بها، والمقام الذي يمر منه، أو يقف فيه، هذا إذا أذن للمريد في الكشف أما إذا لم يؤذن له، فحتى في وسط الطريق لا دلالة للكشف ولا معنى له، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور الرابع:

المريد الممنوع من الكشف في الطريق

هذا الصنف من المريدين لكنه قليل جدا، وفي كل منهج يكون من هذا الصنف واحدا أو اثنين على الأكثر، وذلك من حكم الله في إيصال عباده إليه والتي لا نعرفها، ولكن سنتحدث عن طريقة سلوك هذا المريد؟

غالبا لا يكون لهذا الصنف من المريدين تطلع للكشف أو اشتياق للمشاهدة، ويكونون من أهل العناية الإلهية والاجتباء المحمدي للحضرة النبوية، وحالات هذا الصنف من المريدين عديدة، منها:

الحالة الأولى: يكون المريد ممن لا يصلح له الكشف بسبب ظلمانية نفسه في البداية، وحتى إذا تطهرت وصفت لا يؤذن له في الكشف لعدة أسباب، منها:

- الخوف من وقوعه في الجذب حيث إن طاقة روحه لا تواكب طينية جسده.
- ومنها أنه يكون سالكا ومرشدا في الآن ذاته إرشادا ظاهريا للمريدين بسبب معرفته وتفقهه وأدبه، فإذا كشف عليه، وكشف المريد غير آمن، فقد يبوح بشيء أو ينطق بشيء من الفراسة الخاطئة فيفرق ويشتت شمل الذين كان يشرف على إرشادهم ظاهريا من قبل، وهذا أعظم كبيرة عند الله عز وجل، وبالمقابل فالدعوة إليه هي أفضل عمل، ولو لم تكن كذلك لما سخر لها أفضل خلقه وهو سيدنا محمد

وجعل سر اتصاله بالله عز وجل هي واسطة الرحمة القائمة على أسس الدعوة ومبادئ الصحبة، تلك التي كان صلى الله عليه وسلم يسهر على تلقينها لأصحابه وأتباعه وإلى يومنا هذا لا زال يلقنها لأهل الذكر والعناية والخصوصية عن طريق العارفين والمشايخ.

الحالة الثانية: يكون المريد من خاصة خاصة العباد ومن أهل المقام الرفيع بل وقد يكون غوثا وختما في الزمن يختم به على قلوب مريديه بالوصول والاتصال، فيترك له الله عز وجل مجالا لبذل الجهد وللتضحية من أجل هذا الطريق، فإذا حرمه من الكشف فقد رفع عنه التوفيق والعناية والتسديد إلا أن العناية السابقة والقديمة هي التي تنفع المريد وليست عناية الكشف، فإذا حرم من الكشف وثبت على السير مجاهدا رغباته وشهواته ونزوات نفسه في طبائعها البشرية التي لا يمكن التجرد منها إلا بواسطة الكشف المؤيّد والمخرج عن الحس فيرتفع مقامه عند الله عز وجل ويخصه الله تعالى بدرجات من الولاية والصلاح لا يحيط بها إلا هو.

الحالة الثالثة: يكون المريد السالك لن يفيد بالكشف إلا نفسه ولن ينتفع منه غيره سواء في الطريق أو بعد وصوله أي لن يكون له إذن في الدعوة والتربية فيحرم من الكشف المستحب، ولكنه بعد الوصول يكون متصلا اتصال الوصول لا اتصال المشاهدة ، ذلك الاتصال الذي يجعل العارف في قلب سيدنا محمد وفي أعتاب الحضرة الإلهية دون أن يحتاج إلى الكشف فهو واصل ولكن غير موصل، والكشف أمانة ثقيلة يخففها الله عز وجل عن هذا الصنف من المريدين.

الحالة الرابعة: يكون المريد في حالة من الشك أو ضعف اليقين فيحرمه الله عز وجل من التيقين حتى يوقن بقلبه الإيقان الأول، وذلك ليجعل له جزء من الأجر، ويجازيه عليه، إذ لا يُيَقَّن المريد قبل أن يتيقن.

الحالة الخامسة: حكمة إلهية منبعثة من الحضرة الحقيقة لا من الحضرة المخلوقة للعباد ، تلك لا يحيط بها أحد من عباد الله عز وجل إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فحتى الشيخ لا تطيق ذاته معرفتها فيوكل أمر المريد إلى الله ويكمل معه السير والتربية ظاهريا فقط.

الحالة السادسة: يكون المريد في نهاية عمره وهو غافل عن أمر التحقق بالمقامات الباطنية، متجه فقط إلى السير الظاهري وذلك لسببين:

- إما روحه لم تسافر في المعراج الأول
- أو أن روحانيته لا تطيق ذلك السفر.

هناك حكم أخرى يعلمها الله عز وجل ، وهذا ما وسعنا الوقت لذكره، فالمريد لا يُغْنِيه الكشف بشيء، وإذا حرم منه وهو مع الله، فإنه لا يحتاج إلى شيء، ولكن أرواح المريدين تختلف وطبائع سيرهم لا تُقعَّد بقاعدة واحدة، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور الخامس:

المريد الذي يكشف حتى نهاية الطريق ولا يكشف في بدايتها ولا وسطها

وهي حالة نادرة جدا ولكنها قد تقع حيث تجد المريد سالكا دون كشف، فإذا أراد الله عز وجل أن يتفضل عليه بالوصول أكرمه بالكشف، وعلمه كل ما علم المريد المكشوف طوال سيره من معارف ومشاهدات في ثانية واحدة، ثم يزج به في بحر الوصول ليصبح مشاهدا للتجلي مخاطبا للمناجاة، وهذا الصنف من المريدين يخشى عليهم من مزالق الطريق، ولا يكشف لهم إلا بعد الوصول، وبعد أن يأمن مشايخهم عليهم ، وذلك لأن الله يختاره فيحافظ عليه، ويمنع عنه أسباب التهلكة والضياع والكسر في الطريق، ومن بين أهم أسباب الكسر هو الكشف،

وهذا الصنف يكون لديه في بداية الطريق طلب وشغف بالكشف، ولكن يفنى عنده هذا الطلب في وسط الطريق، وتتركز وجهته على الله عز وجل، فالمريد الذي يكشف عند وصوله خير بكثير من الذي يكشف قبل ذلك، لأن الكشف قبل الوصول أمانة ثقيلة، ونعمة عظيمة ، ومنحة كبيرة تثقل المريد في سيره، أما بعد الوصول فلا تكون المشاهدة إلا فيضا وحمدا وتجليا واندثارا وفناء في الحضرة الأحدية، وذلك خير بكثير ، كما أن مسافة المريد الذي يسير بالكشف أطول من الذي يسير دون كشف، والذي يكشف له في الوصول أو قبل بدقائق، أما الذي لا يكشف له أبدا حتى بعد

الوصول فإن الطريق لديه تطول وكلما طالت به كلما ارتفع مقامه عند الله عز وجل،

ويتعامل الشيخ مع هذا الصنف من المريدين باحتياط كبير وتحفظ وخوف من أن يضيع في الطريق، وذلك لأن الله عز وجل اختار أن يحفظ ذلك المريد فيكون الشيخ أكثر حيطة في حفظه كما أنه يبادر ويسارع في إتمام تزكيته، وغالبا لا يؤدي خدمة للدعوة وإنما يكون كل همه هو الوصول فقط، هذا من أصناف المريدين الذين قد يتكلف الشيخ بإيصالهم

والأصناف كثيرة وعديدة، ويعتبر هذا الصنف قاعدة من القواعد أيضا فالسير السليم هو أن يكشف المريد في وسط الطريق أو في نهاية الطريق إلا أن الأرجح والأفضل أن يكشف في وسط الطريق، ويفنى عن الكشف في نهاية الطريق، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور السادس:

المريد الذي يكشف لفترة ثم يحجب إلى حين الوصول

بعض المريدين يحصل لهم هذا الأمر ، وذلك راجع لسببين: السبب الأول أن يكون المريد قد أساء الأدب في كشفه، وإساءة الأدب في أول الطريق لا تخرج من الطريق وإنما تحرم الكشف، فيحجب عنه الكشف بعد ذلك حرمانا، وباطن الأمر رحمة وفضل وتأمين للمريد من الوقوع في إساءة الأدب مرة أخرى فيهلك ويخرج من قائمة السالكين إلى الله تعالى.

السبب الثاني: يكون المريد قد كوشف في بدايته من أجل تثبيته على الطريق فقط، وليس إذنا له في الكشف، أو قد يكون ذلك الكشف الحاصل في بداية الطريق لغرض معين، إما من أجل معرفة الحق من الباطل، أو من مساندة الدعوة في فترة ضعفها ، وقلة العدد فيها، وإما لسبب آخر فإذا قضي الغرض عاد المريد إلى طبيعته ورُفِع عنه الكشف، وصار في الطريق دونه،

بعض المريدين لا يطيقون هذا حيث يبقى لديهم تشوف وتشوق للكشف مرة أخرى فإذا لم يحصل فإنهم يتركون الطريق إلا من ثبته الله عز وجل عليها، لأن أمر الحجاب بعد الكشف أصعب من السير دون كشف نهائيا،

وبعض المريدين يكشف عليهم في وسط الطريق فقط، ويحجبون في بدايتها، وفي أواخرها حتى يفتح لهم الفتح الأكبر عند الوصول. يكون هذا

الكشف الذي يأتي للمريد في وسط الطريق نتيجة صفاء روحه واشتياق محبته وهيام سره فيضا وفضلا من الله عز وجل، وكرامة وإمدادا له، فإذا حُجِب بعد أن كشف في وسط الطريق فإن ذلك يكون تربية وقهرا لأوصال النفس، وفصلا كاملا عن البشرية، وإخلاصا تاما للمقصود، ومعرفة كاملة بالمقصود لأن الكشف في بداية الطريق ووسطها يزيد المعرفة، وفي نهايتها يحجب المعرفة ويقلل منها، ويشوش عليها. حيث لا يمكن للمريد أن يعرف الله بالكشف، فالكشف عبد ناقص لا يطيق الإحاطة بالخالق، وهنا يحدث الخلل، فانزياح الكشف وزواله بعد وسط الطريق فيه مصلحة عظيمة للسالك تؤدي إلى اتصاله مع الله بلا علاقة ولا واسطة ولا حجاب، والكشف علاقة وواسطة وحجاب في نهاية الطريق، ولكنه كرم وفضل وفيض في وسطها.

وكل هذا فيه حكم بالغة من الله عز وجل وكل هذا يجب أن لا يربك المريد في سيره، ولا يجعله يشك في طريقه، ولا يضعف همته وإصراره على السلوك، الله عز وجل يختار لعباده ما يصلح لهم، ويجنبهم ما قد يؤثر عليهم سلبا في الطريق ويمنعهم من الوصول، ويحول بينهم وبينه

فالمريد السالك لا يعرف مصلحته، فإذا أراد شيئا لا يريده له الله عز وجل فقد يكون فيه ضرر عظيم، وخطر كبير، وقد يكون فيه فصل عن الله عز وجل ، وإبعاد عنه

كما أن هذه الحالة من الكشف تُعَدُّ تربية كاملة للمريد وهي نافعة خصوصا لمن تتعلق بواطنهم بغير الله عز وجل تعلقا كبيرا قد يُصبح عائقا

بينهم وبينه، لذا فعلى المريد أن لا يطمئن لحالته مع الكشف حيث إنه إذا كوشف في أي مرحلة من مراحل الطريق ونادرا ما يكون ذلك في نهايتها، فإن الأمر يكون على هيئتين: إما يكون فضلا نافعا أو يكون استدرجا، وإذا حجب في أي مرحلة من مراحل الطريق فقد يكون ذلك أمرا نافعا وتربية صالحة، وفضلا من الله عز وجل، أو قد يكون انقطاعا له على الطريق، وإساءة للأدب قام بها مع الحضرة، أو التفات باطن ، أو انصراف حضور، أو شيء مما يعيق السير ، لذلك فعلى المريد أن يرجع إلى شيخه سواء في الكشف أو في الحجاب لأن المريد لا يستطيع تحديد الأمر الصالح له، فقد يكون الكشف نافعا له، والحجاب مضر به، أو قد يكون الكشف مضرا به، والحجاب نافعا له. فلا بد من التمسك بالشيخ خصوصا في مدارج الكشف ومسالكها الملغومة التي لا يطيق بها المريد علما وإدراكا، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور السابع:

علاقة المريد بالكشف:

المريد حين يسلك الطريق يقصد وجه الله عز وجل، ويقصد كذلك كل ما يقربه إليه قصد وسيلة وليس قصد الطلب، فالصلاة ليست هي الله، ولكنها مقصودة قصد وسيلة فهي تقرب العبد من ربه، كذلك الأمر بالنسبة للكشف والمعرفة والتجلي واليقين والمشاهدة والتحلي والخطاب والمناجاة والفناء كلهم يدخلون ضمن قصد الوسيلة إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ لا يدخلون في قصد الوسيلة وإنما في قصد الطلب هي خاصة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن كلما كان الشيخ أكثر فناء فيه حُقَّت له هذه المقصدية الطلبية ، لذلك على المريد أن لا ينظر إلى الكشف سوى هذه النظرة انه مقصود وسيلة يقرب من الله عز وجل، ويساعد النفس على التجرد من غرائزها وشهوانيتها وصفاتها الظلمانية ، ويُحليها بالقرب والاتصال وبالصفات النورانية الحميدة ، لذلك فإذا قصده المريد يجب أن يقصده من أجل الله عز وجل وليس من أجل الكشف في حد ذاته، وإلا كان ذلك التفاتا في الإخلاص، وانزياحا عن المقصود، وتشويشا في الطلب.

على المريد أن لا يكثر من محادثة شيخه في أمر الكشف، وطلبه منه، إذا كان محجوبا فذلك يُعد سوء أدب مع الحكمة الإلهية، والطريق المحمدية، وإذا كُشِف عليه أن يُخبر شيخه بكل ما كوشف به خصوصا في بداية الطريق ووسطها، حتى يقيه مهالك هذه الكشوفات ويجنبه شرها،

والمريد الذي يسلك دون كشف لا يتعرض للأخطار والمنزلقات التي يتعرض لها صاحب الكشف، كما أن طريقه تكون أقصر بالمقارنة مع المريد المكشوف، وفي ذلك حكم إلهية ، فالكشف لا يُطلب ولا يُقصد إلا من أجل الله، وإذا اختار الله أن يوصل العبد إليه دون هذه الوسيلة فإنه يفعل لأنه في البداية هو الذي وضعها وسيلة لإيصال العبد إليه، وجعلها قاعدة في السلوك، ونشبه الأمر تقريبيا بالصلاة، فالصلاة يقصدها العبد من أجل الله، ولا يطلبها في حد ذاتها لأن الله هو الذي جعلها وسيلة لإيصال العبد إليه، أما إذا أزالها الله عز وجل وأزال منها وسيلتها فقد غنا الغرض الذي يقصدها المريد من أجله، والله قادر أن يوصل العبد إليه دون صلاة، وكذلك الأمر بالنسبة للكشف إذا أزال الله عز وجل منه هذه الوسيلة التي تقرب العبد إلى ربه، فقد زال الغرض الذي يقصد المريد الكشف لأجله، فيجب أن لا يبقى في قلبه تشوف للقصد في هذه الحالة وإلا كان الأمر عصيانا للإرادة الإلهية، وأصبح مقصود الطلب هو الكشف وليس هو الله عز وجل، والله قادر على أن يوصل عبده دون كشف ولكنه جعله قاعدة عامة يجتازها المريد للوصول، وفي ذلك استثناء لبعض العباد.

هكذا يجب أن يفهم المريد أمر الكشف، وعليه أن يعمل بما ذكرناه من نصائح وإرشادات ليجتاز المريد عقبات الكشف وعوائقه، وعقبات الحجاب وعوائقه، هذا والحمد لله رب العالمين.

المحور الثامن:

أسئلة حول معرفة الغوث وتصرفه والكشف والحجاب.

بعد إنهاء هذا الكتاب المبارك أرسلته نسخة إلكترونية لشيخنا سيدي أحمد الدباغ حفظه الله تعالى للاطلاع عليه، حيث أرسل تعقيبا عليه كلمة ثناء ذيلها رضوان الله عليه بأسئلة ثلاثة، رأينا بعد مشورته أن نضيفها إلى هذا الكتاب، وسنخصص للجواب عن كل سؤال مبحثا مستقلا في هذا المحور، وبالله التوفيق:

المبحث الأول: ما هو ما الفرق بين روح المرشد وروح الشيخ وروح النبي صلى الله عليه وسلم؟

هذه الأرواح هي ثلاثة أسرار كونية السر الأعظم هو روح النبي صلى الله عليه وسلم التي تتجلى في باطنها بوجهين وجه متجه لتسيير الحقائق، ووجه متجه للشفقة على الخلائق، فالأولى لا تدركها غير روح الشيخ حتى روح المرشد لا تدركها، والثانية يدركها المريد بوسيلة روح المرشد، وهذا الفرق بين روح الشيخ وروح المرشد في اتصالهما بأوجه حضرة روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فالوجه المتجه للخلائق من روح النبي صلى الله عليه وسلم هي الحضرة التي يدخلها المريد ويستمد منها الأنوار والتوجيهات والنصائح، يستمد منها كل ما يفيد به نفسه، وما يفيد به غيره، وروح المرشد في هذا المقام هي الباب التي تدخل المريد إلى هذا الوجه من الحضرة الروحية المحمدية، وهي رابطة الاتصال بين الخلائق وبين هذا الوجه من الحضرة، حيث تجد المرشد كل همه هو الشفقة على الخلق

وإسعادهم وتوجيههم وإنقاذهم، ودلالتهم وإدخالهم إلى هذه الحضرة التي يجالس فيها المريد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وخلاصة: روح المرشد لها في الكون وظيفة التربية والإرشاد وإدخال المريدين إلى الحضرة فهي متصلة بوجه الشفقة على الخلق المنبثق من روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والوجه الثاني من روحه هي **الروح العظمى المسؤولة عن تسيير الحقائق والتصرف في العوالم، وتفعيل أمر الواسطة بين الله عز وجل وبين كل ما خلق من مخلوقات. هذا الوجه هو الوجه الأحمدي**، أو ما يسمى بالحقيقة الأحمدية التي تمتاز بخصوصية عند الله عز وجل لا يدركها بكليتها أحد من خلقه، **وتدركها في جزئياتها وبعض معالمها روح الشيخ**، فإذا أدركتها صارت مسؤولة عن القيام بدور الواسطة كذلك، ولكن ليس واسطة الإرشاد بل واسطة التصرف والتسيير، وهنا توكل مهمة ترأس الديوان إلى روح الشيخ الذي بلغ إلى بعض تجليات هذه الحقيقة

وروح الشيخ غير مسؤولة نهائيا عن تسيير الخلق ولا عن إرشادهم، ولا عن تعريفهم بطريق الحق، فهي مسؤولة فقط عن التصرف في الحقائق الكونية بفعل الوساطة الإلهية والإمدادات الأحمدية، هذان وجهان من روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما حقيقة روحه وباطنها المتوجه لله والذي منه ينبسط جناحي التصرف والتسيير ، التربية والإرشاد، لا يستطيع أحد إدراكها ولا الإحاطة بها لأن فيها بعضا من التجليات الإلهية، فالله عز وجل لا يحيط به أحد، وكذلك روح سيدنا محمد الحبيبية لا يحيط بها أحد، وقد أعطي للخلق معرفة هذين الجناحين والوجهين فقط تفضلا عليهم، وتكرما من الله عز وجل، هذا والحمد لله رب العالمين.

المبحث الثاني: قد يحصل في بعض الأحيان أن يساعد الشيخ و يرشد مريديه دون أن يكون على علم بالأمر؟ فمن الذي يساعد ويرشد إذن؟

مساعدة المرشد لمريديه وتلامذته دون أن يكون هو على علم بالأمر، **هذا يحصل فقط للمشايخ الذين يجمعون بين عالم التصريف وعالم الإرشاد حيث يغلب على باطنهم التصريف فيصبح الإرشاد مغلَّفا بحقيقة التصريف يصل إلى المريد والشيخ غائب في تصريفه عن الخلائق**، وهل سينقطع الفيض والمدد على المريد إذا غاب شيخه في التصريف، **فمن رحمة الله عز وجل أنه رغم غلبة حال التصريف على روحانية الغوث وفنائه عن العوالم في العدم، فإن الإرشاد يغلَّف بقاعدة التصريف ويصبح الإرشاد تصرفا إلهيا عن طريق روح الشيخ الفانية في التصريف عنه، فلا تدري كيف يصل المدد للمريد.**

أما الشيخ المكلف بعالم الإرشاد فقط فإن مرآة قلبه ومناجي روحه تظل متوجهة كل التوجه إلى الخلق فيعلم من وُلِد، ومن مات، وماذا يفعل كل بشر وكل مخلوق من عمل، يعلم كل ذلك العلم في ثانية أو أقل من ذلك، ومعرفته تتجدد في كل نصف أو ربع من الثانية، ويعلم كل من ارتبط به أو انفصل عنه، أو نقصت نورانيته بالعمود النوراني الذي يجمع بينه وبين مريديه أو زادت ويساعد كل أحد من الخلق سيصبح مريدا له في المستقبل حتى قبل أن يتعرف المريد على شيخه، **ذلك لأن الله عز وجل كلفه بهذه المهمة فعليه أن لا يغفل عنها ولا يتوجه إلى غيرها.**

وكذلك أهل التصريف فقط، فهم في غياب عن الحس، وفي انقطاع عن الخلائق تتدحرج أرواحهم بين الحقيقة والحقائق، وتتصرف بإذن الله عز وجل في

إذنه فناء بلا فناء، وتصرفا بلا تصريف، الكل وساطة حبيبية، والأرواح منعدمة في حضرتها، وأهل التصريف توجههم الكامل إلى هذه الوساطة وهذا التصريف، فتجدهم مدركين وعارفين بما أوكل إليهم من مهام.

أما من يجمع في ثنايا روحه بين عالمي التصريف والإرشاد، فإن كمال الله عز وجل يتجلى فيه بالنقص فيجعله يميل إلى جهة دون أخرى، فيفنى في التصريف عن الإرشاد أحيانا، وأحيانا يفنى في الإرشاد عن التصريف ليتجلى عليه كمال الله عز وجل بعد ذلك بالكمال فيكمل النقص الذي حصل، ويجعل المريد والخلائق مستفيدين من باطن الغوث والمكلف بالعالمين وهو غير مُدْرِك لذلك، وهذه حالة نادرة قد تحصل للغوث إذا اقترب من انتقاله إلى دار البقاء بطينيته فتجده يغلب عليه عالم التصريف، لأنه الأقرب إلى عالم الكمال المتسم بالفناء عن النقص، وهنا يبدأ الغوث في الاستعانة بأهل الإرشاد فقط في هذا الأمر، وهذا هو التجلي للكمال عليه بالنقص، فحالة العباد كلهم وخصوصا أصحاب الولاية والمعارف ، يتجلى عليهم كمال الله عز وجل تارة بالكمال وتارة بالنقص حتى يكملون في دار البقاء، فيصبح تجلي الكمال بالكمال فقط لأن النقص فيهم محي من طرف الله عز وجل، وهذه الحالة يستحيل أن تحدث لأهل الإرشاد فقط لأنهم مدركون في كل ثانية لتوجه المريد أهو يستمد من شيخه أم من الشيطان أم من شيخ آخر، أم من عالم الباطن، أم هي تلونات الإغواء فقط، وفي الكل رحمة وحكمة ونعمة إلهية، هذا والحمد لله رب العالمين.

المبحث الثالث: أحيانا تسند بعض المهام من مجلس الديوان دون علم من أسند إليه سواء أكان عارفا أو سالكا ؟ ما الحكمة من ذلك؟

هذا أمر جار في سنة الله عز وجل، **فالعبد لا يحيط بكل العلوم والمعارف، بل ولا يحيط حتى بكل جوانب وجوده وخلقه**، فذلك من **الإعجاز الإلهي**، إلا أن التصرف بمجلس الديوان يكون معلوما عند أغلبية العارفين، **وإذا ستر عنهم ذلك فإن الله عز وجل يتصرف بإرادته فيهم فيما لا تطيقه عقولهم ولا أرواحهم ولا أجسادهم رحمة بهم وتخفيفا عنهم**، فإذا كان العارف على علم بما أسند إليه من مهمة عظيمة فقد يَضْعُفُ عن الإتيان بها، وإذا تطلع لذلك بروحانيته فقد لا يطيقها، لذلك فمن باب التخفيف الإلهي أن يتصرف الله عز وجل بقول كن فيكون بواسطة روح العارف دون دراية منه، لأن التصرف بكن لا تطيقه غير روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن كن هي ما قبل الخلق، فلم يكن أثناء قول الله عز وجل: "كن" أحدا إلا واسطته، فلما قال: "فيكون" هنالك خُلِقَ الخَلَائق، وتصرفت الحقائق، لذلك **فإذا تصرف الله عز وجل بهذه القدرة الإلهية فإن المُتَصَرَّف فيه لا يُدْرِكُها في البداية لأنها محجوبة عنه فهو لم يكن حين قوله كن**، ثم يدركها بعد أن تتحقق بقوله: "فيكون"، فيجد نفسه **واسطة منعدمة** لهذا التجلي وهذا التحقق، هذا **بالنسبة للعارفين الكبار عامة، وللغوث والختم خاصة لأن الغوث يبلغ مقاما يفوق التجلي والكشف والتصرف بالعلم والمعرفة والإدراك لأنه يتصرف من عالم قبل عالمه وقبل خلقته**، ومنها أنه يتصرف من عالم العدم لذلك فالكشف والمعرفة والإدراك تنقص من مقامه وترده إلى عوالم الوجود وهذا ما لا يليق بغوث الزمن وختمه، **لذلك ذكرنا في هذا الكتب بأن**

الغوث قد يدخل في صنف المريدين الذين لا يكشف عليهم أبدا تفضلا وتكرما من الله عز وجل عليه، وليس انتقاصا منه ولا من قدره كما قد يفهم في مقالنا.

أما بالنسبة لقيام المريد بمهام في مجلس الديوان لا يدركها، فذلك لأنه **غير متحقق بالوصول أي غير متحقق بذات الشيخ، وذات الشيخ هي مركز التكليف ومركز التصرف** فإذا مر للمريد شيء من التصرف فإنه يمر دون علمه لأنه فان عن وجوده في وجود شيخه، ولم يبلغ به الفناء بعد إلى أن يصير هو ذات شيخه لهذا فإنه قد يتصرف دون أن يدرك، ولا يعرف ذلك، وهذا من باب تربية روحه وتحقيقها ببعض الحقائق الإلهية، ومؤانستها مع هذه المهمة العظيمة التي قد تسند له بعد أن تكتمل تربيته ويتحقق بذات شيخه وهي ذات السر التي تكون مدركة عارفة في مقامات الإرشاد والتربية، وتكون هائمة منعدمة في مقام التصرف والتسيير، والمريد لا يطيق أن يتصرف بعلمه دون إذن ظاهري متمثل في الذات، فالروح وحدها عاجزة إذا لم يكملها الله بالذات التي تطيق السر، فتتمكن من التصرف بروح الذات، وذات السر وليس للذات الطينية أي مقام في هذا المعنى فحتى الذات الحقيقية هي باطنية أي في عالم الحقائق وتلك الذات هي التي سيحيى بها العباد الذين كملت تربيتهم في الجنة لتغلف تلك الذات في الآخرة بذات أخرى وهي ذات الكمال المتصلة بالكمال والفانية عن غيره.

هنا يعود الخلق إلى أصله وتنتهي الدوائر الكونية والتصرفات الغيبية وتغلق باب المداخل الحسية ليفنى ويندثر كل من لم يسلك من باب الحس إلى الجنة، وإلى الله عز وجل، فلا يَبْقَ له وجود ويصبح الوجود غير محتاج إلى الواسطة لأن كل الخلق أصبحوا فانين عن النقص الذي يُكَمَّل بالواسطة، وأهل النقص قد اندثروا واختفوا وانعدموا، هذا الاختفاء والاندثار والتلاشي هو أعظم عذاب

يعذب به الله عز وجل أهل الظلمانية والحس والانفصال، فهو أعظم من عذاب النار ولا يوجد عذاب أعظم منه، ولن يخلق بعده عذاب أعظم منه، أما ذات الكمال التي تلبس لأهل الكمال هي أعظم نعيم فلا يوجد نعيم أعظم منه ولن يخلق بعده نعيم أعظم منه، فتطوى صفحات الخلق ويبقى الله عز وجل دون بقاء، والحمد لله رب العالمين.

خـاتمـة:

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتوجه بخالص الشكر والامتنان لا سيما بصاحب الفضل علينا بعد الله تعالى ورسوله الأكرم، شيخنا وسندنا وسيدنا أحمد الدباغ، قدس الله سره، ونشر ذكره، و بلغه مقصوده من هداية الأمة والأخذ بيدها.

نختم بإذن الله تعالى هذا الكتاب المبارك الذي أكرمنا به الله عز وجل قلبا عن قلب، وفيضا من فيض، وجعله دليل إرشاد وخريطة توضيح للعباد الذين يشغلهم الكشف عن السلوك، فالحمد لله بما هو أهله، والحمد لله كما يليق بحمده، والحمد لله عدد ما طلبه طالب، وقصده قاصد، وصار في طريقه سالك، الحمد لله رب العالمين.

الجزء الأول:

تعريف الكشف: مقاماته وقواعده الكبرى، واتصاله بالسير إلى الله عز وجل.

الجزء الثاني:

مقامات المشاهدة في طريق السلوك

الجزء الثالث:

أحوال المريدين مع الكشف